جامعة محمد خيضر بسكرة
العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية
تاريخ
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
قرمي خليدة

يوم: //

حركة الزهد عند الإباضية في المغرب الأوسط الدولة الرستمية نموذجا (ق 2-3هـ/ق 8-9م)

لجنة المناقشة:

حوفاني أسماء	أ مس ب جامعة محمد خيضر –بسكرة–	رئيساً
بوطارفة صادق	أ مس أ جامعة محمد خيضر –بسكرة–	مشرفاً
بن مسعود مبروك	أ مح أ جامعة محمد خيضر –بسكرة–	مناقشاً

السنة الجامعية : 2023-2024

شكر وعرفان

قال الله تعالى: " رَبَ أوْزِعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" الآية 19 سورة النمل

نبدأ بشكر خير الشاكرين، فأشكر الله تعالى وأحمده أن وفقني وهداني ومن علي بهذا التوفيق والسداد في إخراج هذا العمل إلى النور

كلمة شكر وعرفان ملؤها الإعتراف بالجميل للأستاذ المشرف، الأستاذ الصادق بوطارفة الذي كان صبوراً ومتواضعاً جداً وخير عون لي بعد الله في إنجاز هذا العمل، فهيأ لي كل سبل البحث

فكان نعم الدليل وخير الناصح، ومثالاً للأستاذ المخلص في عمله.

كما أوجه بالغ إمتناني لكل من ساهم من قريب أو بعيد لإنجاح هذا العمل

إلى كل هؤلاء جزيل الشكر والعرفان

خليدة

الإهداء

إلى أمي وأبي حفظهما الله رمز التضحية والعطاء

إلى زوجي محمد رفيق الدرب

إلى إخوتي هشام، عمر، وليد، تركية

إلى كل أقاربي وأصداقائي

أهدي ثمرة هذا الجهد

خليدة

قائمة المختصرات

المختصر	معناه
هـ	هجري
م	ميلادي
مر	مراجعة
ج	جزء
مج	مجلد
تح	تحقيق
ص	صفحة
تر	ترجمة
تع	تعريب
د ت	دون تاريخ
ط	طبعة

مقـــــدمـــــــــة

عرفت الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط نشاطاً زهدياً كبيراً بفضل الدور الذي لعبته الخلفية التاريخية والمذهبية والفكرية للإباضيين، مما جعل من الحضور الزهدي في ممارساتهم التعبدية أمراً طبيعياً، فلا شك أن الزهد هو المقدمة الضرورية لوحدة مذهبهم الإباضي وآرائه العقدية.

فقد عرفت الحياة الروحية والدينية تطوراً ملحوظاً بفضل الدور الذي لعبه أئمة الدولة من القرن (2-3هـ/8-9م) الذين حرصوا على ترك الدنيا والإقبال على الآخرة فوجدوا في الزهد متنفسهم، ومن جهة أخرى إستغلوا الظاهرة في تسيير أحوال دولتهم السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية.

وقد شهد إباضية المغرب الأوسط منظومة وحركة سلوكية زهدية واضحة نتجت عن قوة إيمانهم وتقواهم وإخلاصهم في العبادة، فكان لزهد والورع مكانة بالغة لدى المجتمع الرستمي ميزته عن غيره من مجتمعات المغرب الأوسط.

ويعد موضوع الزهد عند الإباضيين خلال عهد الدولة الرستمية من بين المواضيع التاريخية الهامة، مما دفعني إلى ضرورة الخوض في هذه الدراسة للتعمق فيها أكثر وإزالة بعض الغموض عن مسار الزهد ورصد مجالات التأثير كظاهرة إجتماعية منظمة أو ممارسة فردية عرفها الإباضيين خلال حكم أول دولة إمامية إباضية مستقلة بالمغرب الأوسط، فعمدت إلى طرح الإشكالية التالية:

- **إلى أي مدى أثر زهد الأئمة الرستميين في تطور مختلف جوانب حياة المجتمع التيهرتي؟**

إنضوت تحتها مجموعة من التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما المقصود بالزهد؟ وما الفرق بينه وبين التصوف؟
- كيف إنتشر الزهد في المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي؟
- بماذا تميز الزهد عند إباضية المغرب الأوسط وماهي مظاهره؟
- ماهي أبرز العوامل التي ساهمت في إزدهار الزهد عند الإباضيين؟
- كيف ساهم زهد الأئمة الرستميين في تطور مختلف جوانب حياة المجتمع التيهرتي؟

1.أسباب إختيار الموضوع:

وتعود أسباب إختيار موضوع البحث إلى ما يلي:

- عدم وجود دراسات معمقة ومستقلة حول الموضوع خلال هذه الفترة المدروسة، وإن وجدت فهي تتحدث بصفة عامة في ثنايا الحديث عن تاريخ الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط.
- أهمية الموضوع ورغبتي في التعرف أكثر على طبيعة المجتمع الإباضي في العهد الرستمي.
- إنسياق أغلب المؤرخين لدراسة الجانب السياسي والإقتصادي والإجتماعي والفكري وإهمالهم للجانب الديني والروحي.
- الإشارة إلى الدور الذي لعبه الزهد في التأثير على نظام الحكم السائد خلال عهد الدولة الرستمية.
- إزالة الغموض عن موضوع الزهد وربطه بالبعد التاريخي للإباضيين بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي.

ويعد موضوع الزهد عند إباضية المغرب الأوسط من المواضيع الحساسة والمهمة في حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ العصر الوسيط في المغرب الأوسط عامة، وتاريخ أول دولة إباضية بصفة خاصة، وذلك أن المجتمع الإباضي أثر تأثيراً واضحاً على مختلف الأصعدة فيها.

2.أهداف الدراسة:

أما الأهداف التي أود أن الوصول إليها من خلال هذه الدراسة هي:

- إثراء رصيدي المعرفي والعلمي بالتعرف على تأثير الزهد في حياة الإباضيين خلال حكم الدولة الرستمية والمحافظة على كيانها رغم الظروف التي عاشتها في بعض الفترات التاريخية.
- محاولة التعمق لمعرفة حرص المجتمع التيهرتي الإباضي على تشجيع الزهد والإقبال عليه.

3.منهج الدراسة:

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة سلكت المنهج التاريخي التحليلي القائم على جمع الحقائق التاريخية بهدف شرح وتحليل الأحداث وإعطاء أمثلة ونماذج وصولاً إلى إستنتاجات واضحة ودقيقة.

4.خطة البحث:

حتى يستجيب الموضوع المدروس لمتطلبات البحث العلمي المنهجي جاءت خطته كالتالي:

مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاث فصول.

ففي المدخل التمهيدي حددت فيه إنتقال المذهب الإباضي لبلاد المغرب، أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان **ماهية الزهد** الذي درست فيه مفهوم الزهد ودرجاته والفرق بينه وبين التصوف، كما قمت بإستظهار نماذج من أوائل الزهاد الإباضية بالمغرب.

الفصل الثاني جاء بعنوان الزهد في المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي فخصصته، لمظاهره، وعوامل إزدهاره مع ذكر سماته والأئمة الزهاد الرستميين.

أما الفصل الثالث والأخير يتمثل في إنعكاس زهد الأئمة على جوانب حياة الرستميين وذلك بذكر التأثير على الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية والحياة الفكرية، وفي الأخير وصلنا إلى خاتمة مستنتجة لأهم ماورد في الموضوع الذي دعمته ببعض الملاحق.

وبخصوص الدراسات السابقة فمن خلال البحث تبين عدم وجود دراسات سابقة لهذا العنوان، حيث أنه لا توجد دراسات خاصة ومستقلة لهذا الموضوع وإنما الدراسات ركزت على الجانب الاجتماعي والإقتصادي أكثر.

5.صعوبات الدراسة:

لقد واجهتني بعض الصعوبات خاصة المتمثلة في:

- تكرار المادة التاريخية في مجمل المصادر والمراجع.
- عدم توفر المعلومات اللازمة بشكل مباشر من المصادر والمراجع المختلفة، مما دفعني لبذل الكثير من الجهد في تجميع وفرز المادة.
- النقص الكبير في المادة العلمية المتخصصة في تاريخ المغرب الأوسط التي تتحدث عن إنتشار الزهد به وعوامل إزدهاره في الدولة الرستمية.

6.عرض لأهم مصادر ومراجع البحث:

يرتكز بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع وخلال هذا العرض التحليلي سنقف على صورة واضحة لموارد المعلومات، وأهميتها ومساهمتها في إطار ما ينفرد به كل مصدر عن الآخر، وهي بالمناسبة في معظمها كتب إباضية لمؤرخين إباضيين وقد إرتأيت تقديمها حسب أهميتها بالنسبة للبحث ووليس حسب قدمها وتوجهها وذلك من أجل تقريب الفكرة وتوضيحها وتسهيل تناولها.

أ-الكتب الصوفية:

وقد إعتمدت على مجموعة من الكتب الصوفية التي حددت المفاهيم الزهد، منها:

- الرسالة القيشرية، وقد تناولت بعض أقوال الصوفية في الزهد وأعطت تعريفاً للزهد.
- الغزالي، فقد تناول تعريف الزهد ودرجاته وفضائله.
- البيهقي، فقد تناول درجات الزهد والفرق بينه وبين التصوف.
- المقدسي، تناول كتابه مختصر منهاج القاصدين، عدة تعاريف للزهد حيث أفادتني في معرفة ماهية الزهد.

ب-الكتب الإباضية:

- الشماخي، كتابه السير، تناول زهد الأئمة وأعمالهم وفصل في عيشتهم الزهدية.
- أبو زكريا الورجلاني، يعد كتابه اليسر من أهم المصادر التي تحدثت عن الدولة الرستمية، تناول بعض الروايات التي تخص الزهاد الإباضية.
- الوسياني، يعتبر كتابه سير الوسياني من بين المصادر المهمة والقيمة، تناول الجانب العقدي والفقهي للأئمة والزهاد الإباضية.
- الدرجيني: يعد كتابه طبقات المشايخ من بين المصادر المهمة، تناول حياة الزهاد ونظامهم وطبائعهم ودورهم في المجتمع الإباضي.

ت-اكتاب غير إباضي:

- إلن الصغير المالكي، من بين أبرز وأهم المصادر، كتابه أخبار الأئمة الرستميين، يعد إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية فقد كان من سكان تاهرت وقد تناول زهد الأئمة وشرح حياتهم بالتفصيل.

ث-المراجع:

- محمد علي دبوز: كتابه تاريخ المغرب الكبير، ويعتبر من المراجع العامة في تاريخ المغرب بصفة عامة وتاريخ الإباضية بصفة خاصة، وقد أجاز بالذكر الأئمة وطرائق عيشهم وحياتهم الزهدية.
- سعد زغلول: وكتابه تاريخ المغرب العربي، إهتم بذكر الدولة الرستمية وقد ذكر هو الآخر حياة الأئمة والذي أفادني في ذكر مناقبهم الزهدية.
- عوض محمد خليفات: بكتابه الأصول التاريخية للفرقة الإباضية وكتاب نشأة الحركة الإباضية، وقد أفادني كثيراً في ذكره للأئمة وسمات زهدهم.
- عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، فخصصه لذكر أئمة الدولة الرستمية.

– إبراهيم بحاز: الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، هذا الكتاب الذي شرح فيه وضع الدولة الرستمية إقتصادياً وفكريا ودور الأئمة الرستميين في تطور هذه الجوانب.

ج–الدوريات:

– عباس إحسان: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، أفادتني هذه المجلة بشكل بارز في ذكر التطور الذي عرفه المجتمع التاهرتي في العهد الرستمي من تطور الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية وإنعكاس الزهد عليها.

– علال عمر: حركة الزهد ومنظومة التصوف عند إباضية المغرب (بين الإرث التاريخي والتأثيرات المحلية)، مجلة كبس، من أهم المجلات التي تكلمت عن الزهد في عهد الرستميين وتفاعل وإنسجام الإباضيين معه حتى أصبح حالة فردية ومنظومة إجتماعية ميزتهم عن مجتمعات المغرب الأوسط.

ح–الأطروحات:

– مزهودي مسعود: جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني بلال إلى المغرب، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، وظفت هذه الأطروحة في تحديد تأثير الزهاد الإباضيين الأوائل في تأسيس الدولة الرستمية ودورهم في إثراء الطابع الزهدي لدى أئمة الرستمية خاصة عبد الرحمن بن رستم.

– هادي جلول: العلوم الدينية في المغرب الأوسط من القرن (2–8هـ/ 8– 14)، ساعدتني هذه الأطروحة في تحديد عوامل إزدهار الزهد ومظاهره عند الرستميين خلال القرن 2هـ.

– قراوش سومية: إسهامات علماء تاهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي (160–296هـ/ 777–909م): أفادتني هذه الدراسة في تحديد دور الزهد في تطور الحركة العلمية والفكرية في عهد الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، وتعد من أبرز وأهم الدراسات المختصة بالتاريخ الإباضي التاهرتي.

– سامية مقري، التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة، 296–409هـ/909–1018م: وظفت هذه الأطروحة في إبراز مدى مساهمة الزهد في إزدهار مختلف العلوم وتشجيع الأئمة الرستميين على العلم والتعلم والإنتاج الفكري والثقافي.

الفصل التمهيدي

أولا: نشأة الإباضية:

بعد وفاة رسول الله (ص) برزت خلافات بين المسلمين حول طريقة إختيار قائد يتولى رئاسة منصب الدولة الإسلامية، حيث كانت سقيفة بني ساعدة شاهدة على جدل ونقاش بين المهاجرين والأنصار، والذي إنتهى بإنتخاب أبي بكر الصديق أول خليفة للمسلمين[1]، غير أن هذا الخلاف السياسي طرح من جديد وبحدة أثناء خلافة علي أبي طالب. فبمقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان وجد على كرم الله وجهه نفسه أمام مشكلتين هما: المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان رئيس الدولة والمطلب الثاني هو إعادة الاستقرار والأمن للدولة الإسلامية بعد الإنقسامات السياسية الدينية التي مزقتها الطوائف في تلك المرحلة التاريخية.[2]

لكن أمير المؤمنين علي فضل التفرغ للمشكلة الثانية، حيث قام بإجراءات تعديلية في نظام الدولة الحديثة، وبعد عدة معارك قرر عليا الأخذ برأي التحكيم تحت ضغوط الأغلبية حيث دارت بين علي والمحكمة مفاوضات عديدة باءت كلها بالفشل، الأمر الذي أدى بعلي لمقاتلة الذين إنشقوا من جيشه، في معركة "النهروان * 38هـ/ 658م وقتل منهم عدداً كبيراً.[3] وبعد هذه المعركة إنقسمت المحكمة إلى طائفتين هما:

أ-**المتطرفون**: الذين كفروا كل من خالفهم وهم الأزارقة**، النجدات***، الصفرية****.

ب-المعتدلون: وهم الذين إختاروا طريق السلم ومنهج الدعوة لنشر آرائهم وقد أطلق على هذه الطائفة إسم "جماعة المسلمين"، أهل الدعوة والجماعة، و"أهل الحق والإستقامة" [4]

---

[1] عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1975، ص ص 50-52.

[2] بياركوبلي: مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، تر: عمار الجلاصي، مطبعة ربانيت ماروك، المغرب، 2006، ص ص 8-12.

* موضع عند سامراء في العراق شمالي بغداد عند قناة تتفرع عند دجلة يسمى مجرى النهروان.

[3] محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 1994، ص 30.

** **الأزارقة:** أتباع نافع بن الأزرق الذي ظهر أمره في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ينظر: أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين وإختلاف الصليين، بيروت، المكتبة العصرية، ج1، ص 207.

*** **النجدات:** أتباع نجدة بن عامر الحنفي الذي إنشق عن نافع، أبو حسن الأشعري، المرجع السابق، ج1، ص 207.

**** **الصفرية:** أتباع المهلب بن أبي صفرة، أبو حسن الأشعري، المرجع السابق، ج1، ص 207.

[4] بكير سعيد أوعشت: أضواء إسلامية على المعالم الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1999، ص 10.

لكنهم سمو فيما بعد بـ: "القعدة" من طرف المتطرفين هذه الجماعة التي إنقسمت إلى فرقتين: هما الصفرية وكانت تنادي بالثورة والفرقة التي كانت تدعو إلى التهدئة ورفض حمل السلاح وهم الإباضية.[1]

ثانيا: التعريف بالمذهب الإباضي

الإباضية * هم أتباع عبد الله بن إباض** وهم أكثر الخوارج *** إعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولذلك بقوا، ولهم فقه جيد وفيهم علماء ممتازون، ويقيم الطوائف فيهم في بعض واحات الصحراء الغربية وبعض آخر في بلاد الزنجبار ولهم آراء فقهية.[2]

وقد أجمعت كل كتب الفرق والتراجم على أنهم إنتسبوا إلى عبد الله بن أباض التميمي ماعدا كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي حسن الملطي وعبد الله بن إباض بن تيم بن اللاث إبن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس.[3] كان إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الإعتقادات والمبين لطرق الإستدلالات والإعتمادات والمؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف، كان قدوة لأهل الفضل ولإبن إباض فضائل مشهورة في الآفاق وآثار حميدة مخلدة في بطون الأوراق.[4]

وإن إرتبط إسم الإباضية بإبن إباض فعلمائها لم يعتبره مؤسس لمذهبهم ولا المشرع لهم فهم يعتبرون أن البداية الحقيقية للمذهب كانت على يد الإمام جابر بن زيد الأزدي، المولود ببلدة فرق ولاية

---

[1] عوض خليفات، المرجع السابق، ص ص 73-79.

– حاولت قدر الإمكان تلخيص الحقبة الزمنية من تاريخ الإباضية لأنه من غير الممكن الإلمام بجميع التفاصيل التاريخية لكثرة المراجع.

* **الإباضية:** فرقة من الخوارج أتباع عبد الله بن إباض، وكانوا من قبل شيعة الإمام علي، ثم إنشقوا عنه بعد قبوله التحكيم في معركة صفين، ينظر: ناصر بن عبد الكريم العقل، الخوارج، أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم، ط1، 1419هـ/ 1998م، دار شيليا للنشر والتوزيع، ص 59-68.

** **الخوارج:** تعود بداية ظهور المذهب الخارجي إلى عهد علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه–، وإعتبرهم أهل السنة خارجين عن الصف وسموهم بالخوارج، ينظر: محمد إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، 1976، ص 09.

*** **عبد الله بن أباض:** (ت 86هـ) هو عبد الله بن إباض المقاعسي المري التميمي من بني مرة، كان معاصراً لمعاوية وعاش في أواخر أيام عبد الملك بن مروان (26-86هـ) ينظر: أبو زكريا يحي بن بكر الورجلاني، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ط2، دار المغرب الإسلامي 1402هـ-1982م، ص 40.

[2] علي يحي معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ج1، وزارة التراث القومي للثقافة، عمان، ط2، 1415هـ/ 1994م، ص 97.

[3] عبد الحي محمد قابيل: الإباضية وآراؤهم الكلامية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2015م، ص 13.

[4] أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1394هـ/1974، ج2، ص 214.

نزوى بسلطنة عمان عام 21 هـ والمتوفي عام 92 هـ وقيل 93 هـ وذلك في النصف الثاني من القرن الأول هجري.[1] وهو من أبرز علماء هذا القرن حيث إلتقى جابر بعدد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم، أيضا عاصر جابر الظروف السياسية التي مرت بالأمة الإسلامية، حيث كان في السابعةعشرة من عمره عندما قتل عثمان، حيث تركت هذه الأحداث الكبيرة أثراً ظاهراً على حياته السياسية والفكرية.

ثالثا: إنتشار الإباضية ببلاد المغرب

أول شخصية يرجع لها الفضل في الدعوة المنظمة للمذهب الإباضي في المغرب هو سلمة بن سعد الحضرمي*والذي كان مرفوقا بالداعية الصفري عكرمة مولى بن العباس**، وقد كان مجيْ هذين الرجلين إلى المغرب لنشر الدعوة الإباضية، بتكليف من طرف أبي عبيدة حتى يتمكن من معرفة أحوالهم وإتجاهات أهل المغرب، ومدى تقبلهم للنظام السياسي وولائهم له، وقد إستطاع سعد بحماسه وتفانيه في خدمة المذهب أن يكون مؤيدين لأفكاره، منهم قبيلة هوارة وزناتة في شرق طرابلس ونفوسة[2]، وكانت هذه القبائل تحت قيادة عبد الله بن مسعود التيجي، لكنه قتل من طرف عامل طرابلس، وقد إنتخب في مكانه الإمام الحارثي الكندي.

بعد تقبل أهالي المغرب لمعتقدات المذهب الإباضي وآرائه، لكونهم يعيشون عنفاً وقهراً من قبل النظلم الحاكم، رأى الدعاة حينئذ بضرورة إرسال بعثة علمية إلى البصرة135 هـ، ليتفقوا في أصول ومبادئ المذهب الإباضي، وهذا حتى يتمكن حملة العلم *** بعد رجوعهم من إقناع قبائلهم.

وبالتالي إعادة إنتاج إيديولوجية الذهب، وكان هؤلاء الأربعة هم: أبو درار إسماعيل "غدامس" جنوب طرابلس، عبد الرحمن بن رستم **** من القيروان، وعاصم سدراتي من "سدراته" غربي الأوراس

---

[1] سالم بن هلال الخرومي: الفكر السياسي عند الإباضية والزيدية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2006، ص 40.

* **سلمة بن سعد الحضرمي:** ولد حوالي 45هـ. الإمام الثاني للإباضية، ويكنى أبو عبيدة، ان معاصرا لإمام جابر بن زيد، إشتهر بالتقوى والزهد والورع وكان له جهد كبير في نشر الدعوة، ينظر: الدرجنبي، ج1، ص 200.

** **عكرمة مولى بن العباسي:** 105 هـ/ 723م كان لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعد أبرز أئمة التفسير المشهورين، كان بربرياً من أهل المغرب، وهو من كبار التابعين، ينظر: الدرجيني، ج1، ص 205.

[2] أحمد الياس حسن: الإباضية في المغرب العربي مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1412هـ/ 1992م، ص ص 11-12.

*** **حملة العلم:** من السابقين إلى نشر الدعوة الإباضية وهم: عاصم السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي، أبو الخطاب... ينظر: أبي الربيع سليمان الباروني، مختصر الإباضية، مطبعة الإرادة، ط2، نشر مكتبة الإستقامة، تونس، 1968م، ص 35.

**** **عبد الرحمن بن رستم:** لا خلاف بأنه فارسي، بويع أول بالإمارة ثم بالإمامة بعد سنة 60 هـ كان عالماً متواضعاً زاهداً، ينظر: إبراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، موفم للنشر، الجزائر، 1990، ص 03.

وأبو داود القبلي النفراوي من نفرواة جنوبي إفريقيا "تونس" [1]وقد قضت البعثة العلمية خمس سنوات وسموا هؤلاء أنذاك بحملة العلم إلى المغرب.[2]

وتوسعت رقعة نفوذ الإباضية لتشمل جزيرة جربة ومدينة القيروان، وبهذا تكونت دولة إباضية كبرى شملت ليبيا، تونس والشرق الجزائري، غير أنه سرعان ما تم التصدي لتكوين هذه الدولة الحديثة.

فقد تلقى هؤلاء الدعاة العلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة *، ثم عادوا لنشر تعاليم المذهب الإباضي في بلاد المغرب[3]، حيث وجد هؤلاء الدعاة أذاناً صاغية من البربر فإستغلوا ذلك لنشر مذهبهم الذي طورد في المشرق القريب من عاصمة الخلافة الإسلامية، فقد رأوا أنه حفاظاً على بقاء مذهبهم وإقامة سلطنة بإسمه لابد وأن تكون بعيدة عن بطش الخلافة، فإختاروا المغرب بين قبائل البربر.

فلقد كانت هذه البعثة العلمية هي أولى الثمار الحقيقية التي جناها دعاة الإباضية في المغرب حيث تمثل هذه البعثة مرحلة الإعداد الفكري للأشخاص الذين سيقومون بالتطبيق العملي لمبادئ الفكر الإباضي في بلاد المغرب، حيث حرص سلمة بن سعد على إعداد هذه البعثة إعداد خاصة على أيدي أئمة المذهب الإباضي في البصرة.[4]

ولقد ساهمت عدة عوامل في نجاح الدعوة الإباضية ببلاد المغرب أهماها، التطور السياسي الذي حدث للخوارج بشكل عام في المشرق الإسلامي في أواخر القرن الأول هجري بعد فشل ثوراتهم وإضطرارهم إلى أسلوب الدعوة والتنظيم السري وإختيارهم أطراف العالم الإسلامي ميداناً لنشاطهم بعد أن تعرضوا

---

[1] قراوش سومية: إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، 160-296 هـ/777م-909م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018م/ 2019م، ص 51.

[2] عوض خليفات، المرجع السابق، ص ص26-37.

* **أبي عبيدة مسلم بن كريمة:** كان أعور، مشهور بالقفاف، توفي في ولاية جعفر، ينظر: الدرجنبي، طبقات المشايخ، ج1، ص: 202. الشماخي: السير، ج2، ص 255.

[3] سامية مقري: التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة 296 -409 هـ/ 909 -1018م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/ 2006م، ص 28.

[4] أبي الربيع سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 35.

للمطاردة والإضطهاد[1] وملائمة الأحوال السياسية والإجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري بتقبل هذا المذهب وإنتشاره.[2]

وبالفعل فإن إختيار المغرب جعل الدعوة الإباضية تشق طريقها وتنتشر أفكارها بحرية ويسر، ومما ساعد على ذلك بعد إقليم المغرب عن مركز الخلافة.

لقد كانت نهاية الإباضية لنشاطهم في صورتها المنظمة، بداية حقيقية لحركاتهم المنظمة والشاملة، حتى أنهم وجدو صعوبة في القضاء عليها.[3]

وبذلك نستنتج أن الإباضية هي تلك الفرقة المعتدلة من الخوارج ظهرت أواخر الدولة الأموية، وهي تؤمن بالقرآن والحديث مصدر التشريع مع القول بالرأي والقياس، وإعتبرت أبابكر وعمر قدوة بعد الرسول (ص) ولكنها تشترط القرشية في الخلافة.

رابعا: تأسيس الدولة الإباضية (الرستمية)

الدولة الرستمية * اول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط**، عرفت تاريخاً وحضارة متميزين حيث يعد قيام الدولة الرستمية في المغرب نتيجة لهزيمة أبي الخطاب*** على يد محمد إبن الأشعث الخزاعي، إذ تمكن هذا الأخير من القضاء على الإمامة الإباضية بطرابلس وغيرها وجد عبد الرحمن بن رستم من الأسلم له وأتباعه النجاة إلى بلاد المغرب، حيث يستطيع أن يعيد إنشاء دولة على المذهب الإباضي وعلى نسق دولة أبي الخطاب في طرابلس. [4]

---

[1] محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، دار القلم للنشر، الكويت، ط2، 1408هـ/ 1987م، ص 81.

[2] محمد عيسى الحريري: المرجع 81.

[3] إبن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/ 1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، بولاق، القاهرة، 1957، ص 411.

***الدولة الرستمية:** نسبة إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم وهو أول إمام ظهر في المغرب الأوسط لدى الإباضية، وأحد حملة العلم الإباضي الخمسة إلى المغرب الأوسط، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، منشورات دار الحياة، بيروت، (د.ت)، ص: 221.

** **المغرب الأوسط:** يمثل جزءاً من كلمة عامة المغرب، وهي تلك المساحات الواسعة التي تقع غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، وفي نفس الوقت ظهر مصطلح المغرب الأوسط وذلك على نحو ماجاء به البكري" وأصبح مجرى وادي ملوية يمثل خط التقسيم الذي يفصل بين المغربين الأوسط والأقصى" وعلى هذا فالحد الشمالي للمغرب الأوسط يبدأ من بجاية شرقاً إلى واد ملوية غرباً، البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857م، ص 43.

*** **أبي الخطاب:** شاع وذاع عنه الرفق بالرعية والعدل في الحكم بين الناس، دامت ولايته أربع سنوات، ينظر: إبن عذارى المراكشي: بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، حقق وراجع: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980، ص ص71-72.

[4] عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج2، 1982، ص 539.

خرج عبد الرحمن وإبنه عبد الوهاب ومملوك له وليس لهم حمولة ولا مركوب غير فرس واحدة فمات الفرس في بعض الطريق فدفنوه مخافة تتبع أثرهم من قبل حزب عبد الرحمن بن حبيب الفهري ويحدده الدرجيني في خارج قسطيلية بالجنوب التونسي فسمي ذلك الموضع الفرس ولكا كانت المسافة طويلة فقد كان من الطبيعي أن يحس عبد الرحمن بالتعب لكبر سنه وشيخوخته فتعاون عليه إبنه يحمله تارة والعبد تارة أخرى.[1]

إلا أن أستاذنا إبراهيم بحاز يستغرب في هذه الرواية برأيه أن عبد الرحمن وقت إذن كان عائد من قيادة الجيش بأكمله ولا يعقل أن يكون كبير السن لتلك الدرجة بحيث يحتاج إلى من يحمله.[2]

ونستنتج أن المغرب الأوسط شهد في منتصف القرن الثاني هـ الموافق للقرن الثامن للميلاد قيام الدولة الرستمية الإباضية وعاصمتها تيهرت*، هذه الدولة التي إمتد نفوذها الديني والمذهبي والسياسي على أكبر مساحة منه.

ويشير أيضا إبراهيم بحاز بأن إبن رستم في هروبه من المغرب الادنى** إعترضته صعاب جمة وقد ظل سائراً بين القبائل الإباضية سالكاً طريقا جنوبياً وعراً، يمر بقسطلية جنوب البلاد التونسية، فصحراء الجزائر من شرقها لغربها إلى أن وصل لجبل سوفجج[3]، والظاهر أن هذا الجبل كان عامراً بالإباضية أو كانوا قريبين منه.[4]

وقد بين لنا إبن خلدون على أن عبد الرحمن نزل على قبيلة لماية دون غيرها من الإباضية الموجودين في ذلك الجبل وذلك لقديم حلف بينه وبينهم.[5]

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 36.

[2] إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية)، منشورات آلفا، الجزائر، 2010، ص 109.

* **تيهرت:** أو تاهرت، مدينة المغرب الأوسط في القرون الأولى للإسلام بناها عبد الرحمن بن رستم وأتباعه في المذهب الإباضي، أصبحت عامة الدولة الرستمية من (160-296هـ)، ينظر ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 196.

** **المغرب الأدنى:** يمتد هذا الإقليم من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية، عاصمته القيروان، ينظر: يوسف أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90 هـ/ 450هـ)، ج1، ط1، 1421هـ/2000م، جامعة أم القرى، السعودية، ص 46.

[3] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 109.

[4] أبو الربيع سليمان الباروني: المصدر السابق، ص 37.

[5] إبن خلدون، العبر وديوان المبتدأ، المصدر السابق، ج6، ص 247.

*** **جبل نفوسة:** هو سلسلة جبلية صخرية تمتد من الغرب إلى الشرق، وهو جزء من جبال الأطلس، ينظر: مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (442-21 هـ/ 642-1053م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة قسنطينة، 1996، ص 03 ومابعدها.

وقد أخذت وفود البربر الإباضية تتقاطر عليه في ذلك الموضع الحصين، وقد إجتمع إليه علماء الإباضية وفقهاؤهم من كل حدب وصوب وقصده من طرابلس وجبل نفوسة *** وحدها ما يزيد عن ستين من أكابر العلماء وأهل الرأي وحتما سيتقوى عبد الرحمن بن رستم بهم.[1]

ولما علم إبن الأشعث في القيروان بتمكن إبن رستم من الفرار للمغرب وإجتماع قبائل البربر إليه، جهز جيشاً وسار به لهذا الجبل بقصد إستنزال عبد الرحمن بن رستم قبل أن يستفحل أمره[2]، وقد صور الباروني شدة فزع إبن الأشعث ورعبه لما بلغه أمر عبد الرحمن بن رستم بالمغرب قائلا: "فلم يطب له طعام ولا شراب ولا منام حتى جهز جيشا وسار به للجبل المذكور وحفر خندقاً على معسكره خوفاً من هجوم عبد الرحمن ومن معه عليه، وقد أقام محاصراً للجبل ومناً، مستعملا كل الحيل في دخوله والإستيلاء عليه بحيث طوق الجبل من كل النواحي وظل محاصراً إياهم مدة من الزمن ولم يحصل على شيء طائل".[3]

وقد صور لنا الدرجيني الحوار الذي كان بين إبن الأشعث وجيشه وهو في حيرة من أمره بعد أن وخم عسكره ووقع الجذري والحمى فيهم ومات منهم خلق كبير مخاطبا أصحابه: " قد رأيتم هؤلاء القوم وما فيه من المنعة وإقامتنا عليهم لا تجدي نفعاً فما ترون في الإقامة أو الإرتحال؟ عنهم وقد دبَّ الخلاف بين جيشه فقفل راجعاً للقيروان وقد يئس من عبد الرحمن وأصحابه[4]، فكانت العبرة عن صعوبة فتح الجبل المقولة التالية: " إن سوفجج لا يدخله إلا دارع ومدجج".[5]

وبقي عبد الرحمن في الجبل وقصده الإباضية هناك من كل مكان حتى جبل نفوسة بطرابلس ولما كثر جمعه خرج من حصن الجبال إلى حصن الرجال، وقد فكر هو وأصحابه في تأسيس مدينة تكون رمزاً لإستقلالهم وحصناً لهم.[6]

خامسا: تيهرت حاضرة الرستميين

[1] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 167.

[2] عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، المرجع السابق، ص 543.

[3] الباروني سليمان ين عبد الله النفوسي، الأزهار البارونية (بلا. ت)، ص 06.

[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 36.

[5] عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج3، ص541.

[6] مبارك الميلي: الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص 64.

لقد كان بناء مدينة تيهرت من عزم الإباضية لجعلها الحصن المنيع لهم وللإسلام، فكانت بداية هذا المشروع بأن أرسلوا الرواد في الأرض ليرتادوا مكاناً يكون صالحاً لهم فكانت تيهرت[1]، دون غيرها، إذ كان الموضع لقوم مستضعفين من مراسة وضهاجة، وقد رفضوا أن يبيعوا لهم الموضع ولكن إتفقوا بعد

[1] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 114.

حوار معهم على إعطائهم قدراً معلوماً من خراجه يأخذونه من غتله، وقد كان الموضع غياطل وأشجاراً ملتفة ومرتعاً لأنواع من السباع والوحوش.[1]

ومما يلاحظ من أن رواية بناء تيهرت تحمل أسطورة إذ يقول أبو زكريا بأنهم لما إتفقوا على عمارتها أمروا منادياً إلى من بها من الوحوش والسباع أن أخرجوا فإننا ننوي عمارتها وقد أجلوا لها ثلاثة أيام وقد رأوا بها وحشاً تحمل أولادها في أفواهها خارجة منها وقد يضيف أبو زكريا أن ذلك ما رغبهم في بنائها.[2]

[1] أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 53.

[2] أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص 53.

الفصل الأول: ماهية الزهد

أولا: تعريف الزهد

ثانيا: درجات الزهد

ثالثا: الفرق بين الزهد والتصوف

رابعا: أوائل الزهاد الإباضية

أولا: الزهد

إن الزهد هو عدم إيثار الحياة الدنيا، لأن في ذلك هلاك المرء.

أ-لغة: لقد تباينت تعاريف المؤرخين والباحثين حول إعطاء معنى محدد لمادة الزهد إذ يقول يعقوب الفيروز بادي: " زهد فيه كمنع، والزهد كالزاهد.[1] في الشيء الراغب عنه والراضي منه، وأزدهده: عده قليلا[2]، وبذلك سلوك تعبدي إذ يقال فلان يتزهد بمعنى يتعبد.[3]

فالزهد لغة ترك الشيء والميل عنه والزهن ضد الرغبة، فيقال زهدا وزدهادة في الشيء بمعنى أعرض عن الأمر، إما إحتقارا وتصغيرا له، والزاهد في الدين هو المعرض عن الدنيا ولذاتها، ويقال " زهد في الدنيا بمعنى تعفف عن حلالها مخافة الحساب وترك حرامها مخافة عقاب".[4]

قال عالم اللغة جمال الدين إبن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711 هـ) " لا يقال الزهد إلا في الدين خاصة وهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا".[5]

فالزهد بمعناه اللغوي الخاص فله مدلول ديني، بمعنى عدم الرغبة في الدنيا وعدم الحرص عليه، فجاء الزهد في الدين خاصة، والزهادة في الأشياء كلها، ورجل وإمراة زهيدة، وهما القليل طعمهما.[6]

فالزهد هو خلو القلب من الدنيا وإنصرافه عن محبتها إلى محبة الدار الآخرة.

لم ترد كلمة الزهد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى عن قصة يوسف وإخوته " وشروُهُ بِثمنٍ بخسٍ دراهِمَ معْدُودَةٍ وكانوا فيه من الزَّاهِدِين"[7]. وهناك أحاديث نبوية أوصت المسلمين بالزهد فالدنيا منها

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي (ت 817هـ): القاموس المحيط، تح: محمد نعيم، مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1426 هـ، 2005 م، ص 286.

[2] زيدان عبد الفتاح قعدان، المعجم الإسلامي، ج2، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012، ص 713.

[3] محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى ق 5 هـ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1993م، ص6.

[4] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ج1، ص 403.

[5] إبن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711 هـ): لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج3، ص 196.

[6] أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص 98-99.

[7] سورة يوسف، الآية 20.

قوله صلى الله عليه وسلم مرفوعا عن عبد الله بن عمر " صَلاَحُ أَوَّل هذه الأُمَّةِ بالزُّهْدِ واليَقينِ وهَلاكُ وآخِرُهاَ بِالبُخلِ والأَمَلِ ".[1]

ويقول أبو حامد الغزالي: " أن الزهد هو عبارة عن إنصراف الرغبة عن الشيء إلا ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعارضة وبيع وغيره، فأنما عدل لرغبته عنه يسمى هو خير من المرغوب عنه، وشرط المرغوب عنه ان يكون هو أيضا مرغوب فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهداً." [2]

فالزهد هو تطبيق قوله تعالى: " وَابْتَغِ فِيمَا آتاكَ اللهُ الدّار الآخِرَةَ ولاَ تَنْسَ نصِيبَكَ من الدُّنْيَا وأَحْسِن كما أَحْسَن اللهُ إِلَيْكَ ولاَ تَبْغِ الفساد في الأَرْضِ إِنَّ الله لا يُحِبُ المُفْسِدِينَ". [3]

وقيل: ليس الزهد أن تطيب نفسك عن مغانم قد تنالها، وإنما الزهد أن تطيب نفسك عن مال تعمر به خزائنك، ثم تجود بها طائعا للفقراء والمعوزين[4]. وأحسن ما قيل في الزهد قول ابن تميمة: " الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، وقيل أن الزهد أن تترك بعض ما تملك. [5]

وبذلك فزهد هو سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منزل الآخرة.

وقيل: " أن ليس الزهد في الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الخشن، وإنما الزهد في الدنيا قصر الأمل ".[6]

وإذا جئنا الى قول الجنيد: "الزهد هو خلو القلب عما خلت منه اليد[7]، ويقول أبو يزيد البسطامي " الزاهد هو الذي يلحظ إليه لحظة، فيبقى عنده ثم يرجع نظره الى غيره". [8]

---

[1] البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458 ه): الزهد الكبير، تح: مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض 1423ه/ 2003 م، ج13، ص 290.

[2] محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت 505 ه): إحياء علوم الدين، ج4، كرياطة فوترا سماراغ للطباعة والنشر، ص 219.

[3] سورة القصص، الآية 77.

[4] نور أندريه: التصوف الإسلامي، تح: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003م، ص 57.

[5] محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي إبن قيم الجوزية (ت 751 ه): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، دار وتح: ناصر بن سليمان السعودي وآخرون، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1432 ه، 2011م، ص 136.

[6] عبد الحليم محمود: أقطاب التصوف لسفيان الثوري، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت، ص 160.

[7] محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 07.

[8] أبو يزيد البسطامي (ت 261ه): المجموعة الصوفية الكاملة، تح وتق: قاسم محمد عباس، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2004، ص 89.

وقيل في رواية عن الإمام أحمد بن حنبل: " أنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا؟ فقال: نعم على شريطه ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت". [1] فالزهد لا تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه بل يرتحل بقلبه من الدنيا الى الآخرة، فلا يكون فرحه في الدنيا ولا أسفه عليها، ولا رغبته في أعراضها، بل تصير الآخرة همه ونيته الوحيدة والواحدة. [2]

يسمى زاهد تارك الدراهم والدنانير، وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة، فالبائع لا يقدم على البيع إلا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حالة بالإضافة الى المبيع زاهدا فيه، ظف الى ذلك العوض رغبة وحبا. [3]

من خلال ما ذكر فزهد أن لا تكون لدنيا عندك قدر شيء، فلا تغضب لها ولا ترضى لها، ولا ترضى لها، ولا تنتصر لها، أي ترك الدنيا الفانية أبقى طلبا للآخرة الدائمة.

إن الاسلام لا يرغب عن الدنيا بل يرغب عن حرامها، ولا يرغب فيها بل يرغب في العمل الصالح، والإسلام لا يزهد الناس في الدنيا ليتركوها وينقطعوا الى الآخرة بل يتخذ بين ذلك سبيلا ويمزج بين الدنيا والآخرة.

ولقد تعددت الآيات التي يفهم منها حث المسلمين عن الزهد فهي كثيرة كقوله تعالى " لِكَيلاَ تأسوا علىَ ماَ فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِماَ أَتَاكُم"[4] والزهد ليس إنهزاماً ولا ضعفاً ولا سلبية في الحياة، وإنما هو قوة روحية عظيمة، وإيمان صادق، وما أحوج إنسان هذا العصر الذي يعيش في مادية محضة أن يتنسم عبق الحياة الروحية، فيتعرف على الإيثار، ويلوذ بالإيمان، ويتدثر بالأخلاق وتطمئن نفسه القلقة، حين يدرك " وأنَّ إلى رَبِكَ المُنتَهَى".[5] والزاهد الحقيقي قلبه معلق بربه ولا يتعلق به سواه، وهذا هو زهد خاصة الخاصة، فالزهد على مراتب ثلاث كما قال إبن عجيبة: " فزهد العامة: ترك من فضل عن الحاجة في كل شيء، وزهد

---

[1] عبد الله بم المبارك المروزي (ت 181 ه): الزهد والرقائق، مج1، تح وتع: أحمد فريد، دار المعارج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415 هـ-1995 م، ص ص 15-16.

[2] إبن قدامة المقدسي (ت 620ه/ 1223م): مختصر منهج القاصدين، تح، محمد عيسى سليمان وعلي عبد الحميد أبو الخير، دمشق، دار الخبر، 1998، ص 329.

[3] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 ه): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج5، تح: يحي الشامي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 23.

[4] سورة الحديد، الآية 23.

[5] سورة النجم، الآية 42.

الخاصة: ترك ما يشغل عن التقرب الى الله في كل حال، وزهد خاصة الخاصة " ترك النظر الى ما سوى الله في جميع الأوقات". [1]

ومما سبق فالزهد الحقيقي عندنا هو ترك كل القلب والعقل عن الله تعالى، فيكون مع الله في سائر سكناته وحركاته، فالزهد في الدنيا هو كل الخير والطاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".

فالزهد هو الإهتمام بالدار الآخرة أولاً وقبل كل شيء فهي الهم الأول، فكل ما يملكه المسلم سلطة وجاه ومال يسخرون لله تعالى، يبغي به الدار الآخرة.

ب-إصطلاحاً: لقد أجمع معظم المؤرخين والسلف على أن الزهد هو الرغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله تعالى، وهو أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها مرضاة الآخرة، [2]وهو ماجاء في قوله تعالى: " من كَانَ يُرِيدُ حَرثَ الدُنياَ نُؤتِهِ منهاَ ومَاَلَهُ فِي الآخِرَةِ مَن نَصِيب". [3]

وقال إبن حنبل: "الزهد هو عدم الفرح بإقبال الدنيا ولا الحزن على أدبارها"[4]، ويقول إبن الجلاء: " الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها"، وقال عبد الله بن مبارك: " هو الثقة بالله مع حب الفقر". [5]

ويطلق مصطلح الزهاد على الذين إنقطعوا إلى العبادة وشغلوا أوقاتهم بذكر الله والتوسل إليه طلباً للنجاة، وقد تواترت الآيات التي تعد أهل الورع بجزيل الثواب وتتوعد الآثمين بشديد العقاب، وهي آيات تتضمن الإشارة إلى حقارة الدنيا وذم متاعها وزخرفها وتفضيل الآخرة عليه[6]، ولقوله سبحانه وتعالى: " وماَ الحَياَةُ الدُنيَاَ إلاَ متاَعَ الغُرُوُر".[7]

---

[1] عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوق إلى حقائق التصوف، مطبعة الإعتدال، 1355 هـ، ص 07.

[2] أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، ج4، ص 212.

[3] سورة الشورى، الآية 20.

[4] محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 07.

[5] إبن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 07.

[6] توفيق بن عامر: التصوف الإسلامي إلى القرن السادس هجري، المركز القومي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1419 هـ، 1998م، ص 10.

[7] سورة آل عمران، الآية 185.

فالزهد في مفهومه الإصطلاحي، لا يقتصر على ذلك المعنى البسيط الذي تشير إليه معاجم اللغة، وإنما هو مفهوم معقد جداً، التي لا تمكن كثيراً من الباحثين من القول فيه بقول وتسمية تفصل في مسماه، الناس مصطلحون في طلب العافية ولت تتمخض هذه المسألة في الغالب لأنها موقوفة على الزهد، واللية مقرونة بعدمه، إذ الزهد عافية في الظاهر الباطن، إذ قيل: "من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب".[1]

وقال يحيى بن معاذ: "الزهد يورث السخاء بما تملك والحب يورث السخاء بالروح". ويقال الزهد هو فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك جلي في الصحابة والسلف". [2]

وقال الفضل بن عياض: " أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل"، وقال يوسف بن مسيرة: "ليس الزاهدة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، وإنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء.[3]

ويقال إذا زهد العبد في الدنيا أثنت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وراءها ودواءها.[4]

إن الزاهد ينطبق على كل من باع الدنيا بالآخرة، ولم يسعى لنيلها ولا يشكل من الأشكال وقد تداخلت التعاريف والأقوال عن الزهد " فاعلم أنه ليس من الزهد ترك المال ولا بذله، على سبيل السخاء والقوة وإستمالة القلوب، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقاراتها بالنسبة الي نفاسة الآخرة. [5]

فالزهد المحمود شرعا هو ترك ما لا ينفع العبد في الآخرة، [6]وفي معاني أخرى الإنسان لا يعد زاهداً إلا إذا وجد ما يزهد فيه، وإلا لما يعز ويعد زاهداً فاز في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ويتنظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات"، وهذا يدل على المعنى الأخير الذي ذكرناه، وهو

---

[1] أحمد بن مصطفى العلاوي، المواد الغثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج2، المطبعة العلاوية للطباعة والنشر، مستغانم، ط1، 1994م، ص 26.

[2] عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون (ت808 ه): المقدمة، ج2، تح وتع: عبد الله الدرويش، دار البلخي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1425 ه، 2004م، ص 225.

[3] عبد الله بن مبارك الماروزي، المصدر السابق، ص 16.

[4] عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 160.

[5] زين الدين أبي القاسم القشيري (ت 376 ه): الرسالة القشيرية، تح: عبد الرؤوف سعدن، القاهرة، دار جوامع الكلم، د ت، ص 366.

[6] المقدسي، المصدر السابق، ص 321.

أن الحال والعمل مشتركان أي أن الزهد لا يكون إلا حسب ما كان عليه الحال، "فالزهد بإختصار هو عدم تعلق القلب بالأشياء الدنيوية ولو كانت كثيرة، إذ هذا المعنى يؤكد على ان الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفو اعفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان، فتركها خوفا من أن يأنس بها، فيكون أنساً بغير الله ومحبا لها سوى الله.[1]

وقال يحي بن معاذ: " لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون في ثلاثة خصال عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع وعز بلا رياسة.[2]

عن بكر العابد: قال لقد سمعت سفيان الثوري يقول: " إزهد في الدنيا ونم " وعن عبد العزيز القرشي سمعت سفيان ثوري يقول: " عليك بالجهد يبصرك عورات الدنيا".[3]

ويقال أن الزهد هو ترك فضول الحلال، أو ترك الحرام، وأخصهم زهد وهو ترك ما يشغلك عن مولاك، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الزهد خير كله لأن حقيقة الزهد أن تترك نفسك، دنياك، وروحك عقباك ويبقى سرك مع مولاك". [4]

فالزهد نظرتين، النظرة الأولى في الدنيا وسرعة زوالها وقثائها وإضمحلالها ونقصها وخسيها، وألم المزاحمة عليها. والنظرة الثانية في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولابد من دوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات.

فالدنيا قطعة كالثلج، رخيصة الثمن سريعة الذوبان والآخرة كالجوهرة غالية الثمن ولا تذوب، وبمقدار العلم بالتفاوت بين الدنيا والآخرة يزداد الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أزهد الأمة فقوة اليقين بالآخرة ومعرفة خطرها[5]، ولقد أتت النصوص المتكاثرة التي تغرس هذا المعنى وتؤكد هذا العلم فمن الآيات القرآنية قوله عز وجل: " ومَاَ هَذِه الحَيَاَةُ الدُنيَا لَهوٌ ولَعِبُ وإنَّ الدَاَرَ الآخِرَة لَهِي الحيوانُ لو كانُوا يَعلَمُون".[6]

---

[1] القشيري: المصدر السابق، ص 372.

[2] إبن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 134.

[3] عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 158.

[4] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ج5، المصدر السابق، ص 264.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص 324.

[6] سورة العنكبوت، الآية 64.

فالزهد هو خلو القلب من التعلق بغير الرب، أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها، فزهد العامة ترك وفضل على الحاجة في كل شيء، وزهد الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله من جميع الأوقات. [1]وقد نشأ كصيغة عمل وأسلوب في بدايته الأولى.

وليس الزهد في الإسلام إنقطاع عن الدنيا وإنما معنى يتحقق به الإنسان ويجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا يعمل فيها ويكد ولكن لا يجعل لها سلطاناً على قلبه ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه.[2] وقد عرفه الهروي وعلى أنه إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية، قوله: عن الشيء يعني عن القلب قوله: بالكلية، أي مع ترك التشوق إليه وعدم الإلتفات فإن ذلك شاهد بالإعراض عن الدنيا حقيقة. [3]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الزهد عبارة عن إنصراف الرغبة من الشيء الى ما هو خير منه أي إيثار الحياة الآخيرة الباقية على الدنيا الزائلة، وليس معناه ترك الكسب والإكتساب ولا ترك الأسباب وعدم الأخذ بها لأن الإسلام يعتني بحياة الفرد إعتناءاً دقيقا، فيحث المسلم على الأخذ بنصيبه من الدنيا كقوله تعالى:" وإبْتَغِ فِيمَا آتاَكَ الله الدَّارَ الآخِرَةِ ولا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُنْيَا ". [4]

لقد وجد الزهاد الأوائل في آيات القرآن الكريم حثاً على عدم إيثار الحياة الدنيا، لأن في ذلك هلاك المرء، يقول تعالى: " فَاماَ مَن طَغَى وَآثَر الحَياة الدُنياَ فإنَ الجَحِيمَ هي المَأوَى وأماَ مَن خاَفَ مَقَامَ رَبِهِ وَنَهَى النَفسَ عَنِّ الهَوَى فإنَ الجَنَة هِي المَأوىَ".[5]

فالزهد هو النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولابد من دوامها، كما قال سبحانه: "والآخَرة خَيرٌ وأَبقَى" [6] فالدنيا تفسد العقل والقلب بشهواتها وملذاتها، ولهذا نبذها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم وأطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجناً لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب ولوصلوا منها إلى كل مرغوب.

---

[1] عبد الله أحمد عجيبة: معراج التشوق إلى حقائق التصوف، ص 26.

[2] يحي بن معاذ الرازي: جواهر التصوف، تع: سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، 1423هـ/2002م، القاهرة، ص 148.

[3] أبي إسماعيل الهروي، منازل السائرين إلى الحق المبين، عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني، ج01، دار التركي للنشر، 1989، ص 139.

[4] سورة القصص، الآية 77.

[5] سورة النازعات، الآية 37-41.

[6] سورة الأعلى، الآية 17.

ثانيا: درجات الزهد

إن الزاهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلاث درجات:

الأولى: هي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها [1]، ولا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والإجتهاد، والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كسبه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه ولا المتزهد على خطر، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والإستراحة بها في قليل أو أكثر.[2]

الثانية: أن يزهد في الدنيا طوعا لا يكلف نفسه ذلك، لكنه يرى زهده ويلتفت إليه فيكاد يعجب بنفسه ويرى أنه قد ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه، كما يترك درهماً لأخذ درهمين وهذا أيضا نقصان.[3]

الثالثة: وهي العليا أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده، إذ لا يرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معارضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً، رضا الله تعالى ونعيم الآخرة أحسن من زخرفة، فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة.[4]

فالإمام الغزالي قسم الزهد هو الآخر الى ثلاث درجات، الأولى: الإنسان يزهد في الدنيا ونفسه مائلة إليها، أما الدرجة الثانية إحتقاراً وطمعاً في الآخرة، أما الثالثة: هو أن الإنسان يترك الدنيا وهو معتبر أنه لم يترك شيئا وهو الكمال في الزهد[5]، أي أن الإنسان يترك الدنيا وشهواتها لا بحبه في الإستغناء عنها وإنما طمعا في ثواب الآخرة، فهو مدرك أن الدنيا كل ما عليها فانٍ ولا ينفعه يوم الحساب.

فهذا هو غاية الزهد أن يزهد الإنسان في الدنيا وهو مقتنع وراض كل الرضا على ذلك، فلا يغره لا الدنيا ولا زخرفها، وإنما كل همه الآخرة وثوابها وما يجب عمله للفوز بها، إذا إختلف الزهاد في طرائق زهدهم فمنهم من زهد خوفا من الله تعالى، ومنهم من زهد رجاء ما وعد به الله تعالى، ومنهم من زهد حبا لله تعالى وهو أعلاهم.[6]

---

[1] شهاب الدين النويري، ج5، المصدر السابق، ص 251.

[2] محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 08.

[3] شهاب الدين النويري، ج5، المصدر السابق، ص 251.

[4] عبد الله مبارك المروزي، المصدر السابق، ص 38.

[5] الغزالي، ج4، المصدر السابق، ص 220.

[6] أبي بكر الحسين البيهقي (ت 458 هـ): ج13، المصدر السابق، ص 291.

كما قسم المقدسي إلى ثلاثة درجات إحداهما " الزهد للنجاة من العذاب والحساب والأهوال التي بين يدي الآدمي وهذا زهد الخائفين.[1] أي أن الإنسان قد يزهد في الدنيا خوفا مما قد يلقاه يوم الآخرة من عذاب ليس لأنه لا يحب الدنيا وشهواتها بل لخوفه من العذاب، أما الدرجة الثانية " الزهد للرغبة في الثواب والنعيم".[2]

فالدرجة الثانية حسب المقدسي، أن الإنسان يزهد رغبة في ثواب الآخرة وما سيناله الإنسان من نعيم، يكون أضعاف مضاعفة من نعيم الدنيا، الذي إعتبر زائلاً لا يدوم ولا يكون بدرجة نعيم الآخرة.

أما الثالثة " الزهد للرغبة عن الدنيا وهي العليا، وهو أن لا يزهد في الدنيا للتخلص من الآلام ولا للرغبة في نيل الذات، بل لطلب لقاء الله تعالى وهذا هو زهد المحسنين العارفين[3].

وهنا يتبين من الزهد أيضاً أن يزهد الإنسان رغبة في وجه الله عز وجل لا من أجل شيء آخر. وهناك تصنيفات أخرى قالها الزهاد والمتصوفة وغيرهم تجعلا بعضها فوق بعض مما يتبين أن الزهد لم يكن على وتيرة واحدة، وأن الزهاد كانوا يتفاوتون في المكانة والتقدير ويقول البيهقي في الزهد "الورع أول الزهد"[4]، أي أن أول درجة في الزهد عي الورع وخشية الله سبحانه وتعالى مما دفع الإنسان إلى التخلي عن الدنيا والإشتغال من أجل كسب ثواب الآخرة،

ومما نستنتجه من المصادر التي تناولت موضوع الزهد كانت تتمحور أقوال زهدها أو كبار الزهاد فيها بأن الزهد ينقسم إلى درجات وتتحدد كل درجة حسب نفس الإنسان وميولها.

ثالثا: الفرق بين الزهد والتصوف

يتحدث إبن خلدون في مقدمته عن نشأة الزهد في الإسلام، وعلاقته الوثيقة بالتصوف فيقول: " هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة الملة، وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع الى الله، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق بالخلوة والعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة

[1] إبن قدامة المقدسي، المصدر السابق، ص 329.
[2] نفسه، ص 329.
[3] البيهقي: المصدر السابق، ص 294.
[4] نفسه، ص 294.

والسلف، فلما نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري، وما بعده، إختص المقبلون على العبادة بإسم الصوفية والمتصوفة".[1]

فالزهد: كان المدخل الطبيعي إلى التصوف في الإسلام، ولقد وجد الصوفية الأوائل في نماذج الزهاد السابقين صورة صادقة، ومثلا للحياة الروحية في الإسلام، ووجدوا في أهل الصفة ضوءاً ودليلا على زهدهم، وأهل الصفة كما ذكرنا.

فالزهد مقام كغيره من المقامات، وله مقدمات، كما يعتبر الزهد في بدايته الورع أو مقدمته، فهو أيضا يعتبر بداية لمقام آخر وهو التصوف، فالتصوف مرتبط بالزهد ويصعب في كثير من الحالات الفصل بين الزهد وبدايات التصوف إلا أن التصوف قد يشمل الزهد ويزيد عليه، " فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد"[2].

وكان لهذا التحول من الزهد إلى التصوف أسبابه ودوافعه[3]، حيث أن الزهد أضفى بسبب واحد أو عده أسباب إلى نتيجة متمثلة في التصوف الذي تمحورت بداياته حول الزهد، فقد كان الزهد يتصاعد حتى وصل إلى التصوف لكن التداخل الشديد بين بدايات الزهد وبدايات التصوف يجعل من الصعوبة بمكان تحديد بداية قاطعة للتصوف".

ويقول أبو يزيد البسطامي أن التصوف هو صفة الحق يلبسها العبد، وقال أيضا: " أنه طرح النفس في العبودية، وتعليق القلب بالربوبية، وإستعمال يقول كل خلق شيء، والنظر إلى الله بالكلية".

كل أقوال الصوفية أو الزهاد تتفق على الزهد غير التصوف إنما هدفه الإستمتاع في الآخرة، فهو نوع من المعاملة كأنه يشتري متاع الدنيا بمتاع الآخرة، أما الزهد فإنه يزهد في الدنيا لأنه ينهي نفسه على كل مشاغل الدنيا، التي تلهيه عن العبادة. [4]

[1] عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 397.

[2] أبي الفرج الجوزي البغدادي (ت 510 هـ): تلبيس إبليس، الإسكندرية، دار إبن خلدون، ص 138.

[3] محمد بركات البيلي: المرجع السابق، ص 10.

[4] أبو يزيد البسطامي: المصدر السابق، ص 81.

وقال الإمام أبو القاسم القشيري –رحمه الله –إختلف الناس في الزهد والتصوف فالزهد لمن زهد لي لفراغ القلب من الشغل، وجعل همه في طاعة الله تعالى وذكره وخدمته، فكفاه الله عند ذلك، ومنهم من زهد لخفة الظهر، وسرعة الممر على الصراط.

وقالت التصوف مذهب كله جد فلا يخلطوه بشيء من الهزل.[1] ويتضح من المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الزهد والتصوف أن الزهد كان بداية حقيقية للتصوف، إلا أنه لم يقف عند حده بل طرأت عليه تغيرات وألوان جعلت من الصعب أن يبقى ليحتمل داخل إسم واحد.

أي الزهد " فقد كان هناك أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد وإنقطعوا الى العبادة وإتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها. [2] أي أن طوائف زادت بعبادات وأخلاق جعلتهم يحملون أو يدخلون مقاماً جديداً على الزهد والتصوف.

أما البداية الحقيقية للتصوف فقد رأوا أول من إنفرد به لخدمة الله سبحانه وتعالى، عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة، وإسمه الغوث بن عمر، فإنتسبوا إليه لمشائهم إياه في الإنقطاع إلى الله عز وجل سبحانه وتعالى ما فسموا بالصوفية.[3]

فالزهاد هم الذين تعلقوا بالتعبد، وتخلوا عن الدنيا وإنقطعوا الى العبادة، أما الصوفية فقد زادوا على ذلك أمور محدثة إنفردوا بها مثل المكاشفات والذوق والوجد والسماع، وقد تحددت سمات الزهاد وتنوعت وإتسعت ماهيته وتشعبت، وتنامت وتصاعدت تدريجياً لأن الزهد له أصل والتصوف تطور له.[4]

كل أقوال الصوفية أو الزهاد تتفق على أن الزهد غير التصوف إنما هدفه الإستمتاع في الآخرة، فهو نوع من المعاملة كأنه يشتري متاع الدنيا، بمتاع الآخرة، أما الزهد فإنه يزهد في الدنيا لأنه ينهى نفسه على كل مشاغل الدنيا، التي تلهيه عن العبادة.

---

[1] القشيري: الرسالة، ج1، المصدر السابق، ص 388.

[2] إبن الجوزي: المصدر السابق، ص 138.

[3] نفسه، ص 138.

[4] كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والشيع، رسالة دكتوراه في الفلسفة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص 28.

ومما يتضح عن الزهد والتصوف أن الزهد والتصوف، أن الزهد هو النقطة الأساسية التي إرتكزت عليه بدايات التصوف، كان الورع والخشية من الله بداية للزهد، فلم يختلف التصوف عن الزهد، الإختلاف التام وإنما زاد عليه بانواع العبادات وبألوان مختلفة في تأدية هذه العبادات.

رابعا: الزهاد الإباضية الأوائل

إقتدى الزهاد الإباضيين في المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية، بما كان عليه شيوخهم المشارقة الذين إقترنت حياتهم اليومية بنمط معيشي وسلوكي يتميز بالتقشف والإقبال على نوافل العبادات، ولقد واضب شيوخ الإباضية على سلوك منهج الزهاد ولم يختلفوا عما كان عليه زهاد أهل السنة.[1]

ولقد واصل الزهاد الإباضية الأوائل حياة الزهد التي عاشها الصحابة والتابعين، حيث نجد من الزهاد حرقوس كان من أهل النسك والعبادة والتقشف والزهادة.[2]

فهكذا كان مثل هؤلاء الزهاد، أي أن زهدهم كان متمثلاً في العبادة والتقشف والإعراض عن الدنيا، ومنهم كهمص الصريمي*، الذي كان عابداً زاهداً من خيار المسلمين.[3]

وقد كان عادلاً لا يخاف في الله لومة لائم وقد شهد على ذلك أبو الشغتاء حين سئل عن عدل كهمص فقال " ما رأيت رجلا من المسلمين بعدله".[4]

فإذا زهد الشخص فإن نفسه تتمسك بكل صفات الأخلاق الحسنة وهذا ما جعل كهمص على هذه الدرجة من العدل.

وقد شهدت صفة الزهد كذلك في كبار دعاة الإباضية فكان أبو عبيدة، عالما في الزهد في الدنيا والتواضع، مع نيل الدرجات العليا والإعتراف بضيق الباع مع ماعليه من الإتساع[5]، فقد كان أبو عبيدة إلى

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 202.

[2] نفسه، ج1، ص 202.

[3] الدرجنبي: المصدر السابق، ج1، ص 202.

[4] محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، ط1، ج3، القاهرة، 1963م، ص 199.

[5] علي دبوز: المرجع السابق، ص 175.

جانب ذكائه وفهمه العميق وعقله الراجح مثلا في الورع، والتقوى والتمسك بدين الله، فمن ورع أبي عبيدة، وتقواه وتحرجه وشدة مراقبته لنفسه أمام ربه كرهه للإمارة ونفوره منها.[1]

فالزهد عندهم جعلهم حاملين معهم منهجاً تعبدياً يقوم أساساً على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، حيث حافظوا بذلك أتباع الإباضية على الرصيد الزهدي الذي خلقه أسلافهم، فإعتمدوا على تغذية فكر المنتمين والمنخرطين في صفوف الفرقة بمعاني الزهد في الدنيا وحب الدين والتضحية في سبيل الدعوة بكل ما يملكون.

فتعتبر الإمارة والرياسة، من بين مايزهد فيه أولئك الزهاد الذين كرسوا حياتهم للعبادة والتعبد والإبتعاد عن كل أشغال الدنيا، كما أنه من شدة زهده، لا يستطيع أكل شيء شك في كيفية إشترائه فروي عنه أن عامله أتاه بلبن إستبدله بقلادة وقارورة رفض تناوله وطلب العجوز التي إشترى منها عاملة اللبن وسألها عن ثمنه وأعطاها ثمنه.[2]

كما أن جابر بن زيد * (ت 93هـ/712 م)، والذي ينسب إليه بعض الإباضية جذور المذهب الإباضي، خلافاً لمن يقول أنه نسب إلى عبد الله بن إباض كان من خيار الزهاد الأوائل عند الإباضية فيقول عنه الشماخي " كان أعلم الناس وأورع الناس وأعبد الناس، إستضاء بنوره جماعة عظيمة، وأخذ عنه ناس كثيرة وكان مستجاب الدعاء.[3]

ومن زهده أنه كان يحتقر المادة، ويشمخ عليها، لأن غرامه في المعاني الرفيعة التي تقوبه إلى الله وترفع درجاته إلى الجنة.[4]

فعن إجابة الدعاء: قال "سألت الله عن ثلاث فأعطاينهن سألت زوجة مؤمنة، وراحلة صالحة ورزقاً حلالاً كفافاً يوما بيوم".[5]

---

[1] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 223.

* صاحب إبن عباس رضي الله عنه، وقال فيه: إسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل الشرق والمغرب لوسعهم علما، ولما مات قال عنه مالك بن أنس مات خير أهل الأرض وهو سراج المذهبي، ينظر الدرجنبي: المصدر السابق: ج1، ص 208.

[2] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 22.

[3] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 22.

[4] الدرجبني: المصدر السابق، ج1، ص 28.

[5] عوض خليفات: المرجع السابق، ص 189.

فمن الصفات التي يتصف بها الزهاد هي صفة إجابة الدعاء وقد إتبع أسلوباً في حياته، حيث "عاش حياة زهد وتقشف وإنصراف عن الهوى ولهو الدنيا وترفها، مما ساعده على إكتساب المعارف والإحاطة بالعلوم السائدة في عصره.[1]

ومن أوائل هؤلاء الزهاد، أبي بلال **الذي قال عنه أبو عبيدة " إن أبو بلال رحمه الله يبكي في جوف الليل حتى ما يطيق أن يقوم". [2]

ومما يتضح أن كل الزهاد الإباضية يشتركون في خاصية مشتركة وقوية وغالبة وهي الزهد في الدنيا، وذلك بالإبتعاد والنفور من ملذاتها وشهواتها المغرية، حيث كان التواضع والتقشف من سماتهم البارزة.

وإن دل هذا البكاء على شيء فإنما يدل على خشيه وزهده والتفكير فيما سيلقاه في أخرته، ومن علامات خشيته من الله عز وجل وزهده في الدنيا، وتفكره في الآخرة أنه كان ماراً على سوق للحدادين فأُغشي عليه، ثم رأى إمراة جسيمة عليها زينة فأغشي عليه ثانية، فسأل عن سبب ذلك فقال أما أولا فمعاينة النار وثانياً تفكرت كيف تقلبها في النار.[3]

ومن مجموع هؤلاء الزهاد نجد أيضا حاجب أبو مودود الطائي* الذي قال عنه أبو العباس "كان بالإجتهاد موصوفاً وبالزهد والورع معروفاً.[4] وكذا ضمام بن السائب (ت 200هـ/815م) ** كان ذا رفق وتلطف، وزهد وإجتهاد وتقشف.[5]

ومما سبق نرى بأن الزهاد الأوئل كان همهم الأول والأخير والوحيد هو مرضاة الله، من خلال عدم الإنحراف نحو الدنيا الفانية والعمل والتواضع والتعبد لنيل درجة الآخرة الباقية.

---

[1] عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط2، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1981م، ص 162.

[2] المرجع نفسه، ص 162.

** أبو بلال مرداس بن أدية التميمي أحد بني ربيعة بن حنظلة يعظمه الخوارج، وكان مجتهداً كثير الصواب حضر موقعة صفين ينظر الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 133.

[3] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 26.

* قال المليح مارأيت متكلما في مجلس قبله ولا بعده ينظر الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 27.

[4] نفسه: ج2، ص 27.

[5] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 142.

ومنهم لأبو مهاصر قال فيه الدرجنبي: "شيخ النسك والتبتل والمكرم بالدعاء المستجاب المتقبل، رفض الشهوات النفس وباعدها، فإستوجب الرقي في درجات الأفاضل، إزدرى أهل الدنيا وهم يرون قد إزدروه".[1] فكانت خير شهادة أكدت على زهد أبو مهاصر ورعه، وتقشفه وبعده عن الدنيا وأهلها.

ومما إتصف به الزهاد هو كثرة الصلاة، والتجهد والدعوة إلى الله والطريق الصحيحة عندهم، فنجد أن يبرح من بني راسب "كان رجلا عابداً مصلياً لا يفتر من العبادة، حتى دارت ركبتاه ويداه ورجلاه وجبهته، كركبة البعير.[2]

ومن خلال ما ذكرنا نلمس أن الممارسات التعبدية مشتركة إلى حد التطابق بين زهاد الإباضية الأوائل، جعلهم يتماشون مع فكر المذهب الإباضي وحمل منهجاً تعبدياً يقوم أساساً على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، فإعتمدوا كزهاد وأئمة على تغذية فكر المنتمين والمنخرطين في صفوف الفرقة الإباضية بمعاني الزهد في الدنيا وحب الدين والتضحية في سبيل الدعوة بكل ما يملكون.

ومنهم أبو عبيدة عبد الله بن القاسم* الذي غاص في بحور الزهد والتقوى، شاباً وكهلاً [3]ومن علامات زهده أنه دخل منزل الفضل بن جندب ومعه قرصان من خبز وملح والفضل كان يكثر الطعام ويعرضه عليه فرفض أكل طعامه وقال له دعني إلا لم أدخل لك منزلا. [4]

وأبو سفيان قنبر** قال عنه جابر " كان من خيار المسلمين وكان يجتمع المسلمون عنده، فيأخذون في الذكر والدعاء والترغيب في الحيز والزهادة في الدنيا [5]، فكان الزهاد لا يتركون فرصة إلا وإستغلوها في العبادة والذكر فبإجتماعهم ببعض في منزل أحدهم أو في المسجد الجامع يأخذون في الذكر والدعاء والتجهد، وقد يبقى ذلك حتى صلاة الفجر.

---

[1] نفسه، ج1، ص 142.

[2] روح أبي كنانة له أخ يعرف باسم مازن من بني راسب، وكان من نضيري أبي بلال وعروة. الدرجنبي: المصدر السابق، ج1، ص ص 144-145.

* من مصادر عمان، أقام بمكة زمانا ينظر الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 122.

[3] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 34.

[4] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 149.

** كان شيخا تقيا وفي الناس مرضيا، قال عنه أبو جميل ما رأيت أحداً ممن مضى يذكر الجنة والنار ويصف من أمرهما مثلما كان يصف ويذكر قنبر أنظر الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 112.

[5] نفسه: ج1، ص 112.

ومنهم أبو حمزة الشاري (ت 130 هـ/ 748 م) مخالف الأرق زاهد قاطع ليله في التجهد بالركوع والسجود، وتلاوة القرآن والضراعة إلى الرحمن، والحراسة في سبيل الله.[1] ومنهم صحاري العبدي رحمه الله كان يدعو إلى الله على بصيرة حمل فقهاً جزيلا وكان باعه في العقائد طويلا وكان أحد الزهاد.

وكذا أيوب بن وائل الخضرمي قال عنه الشماخي " وهو من أفاضل أصحابنا علما وزهدا وتقاً وأمرا بها. منهم أيضا عمران بن حطان " هو النهاية في الورع والصلاح وإطراح الدنيا كل الإطراح، لما خصه الله عز وجل من فنون العلم والنزاهة والعلم، وشهامة الجنان". ومما قال عن بعضه للدنيا عند وفاة أبي بلال.

ونستطيع القول أن الإباضية قد عرفوا منذ وقت مبكر من وجودهم في بلاد المغرب الأوسط، حركة زهدية نشطة، تدل عليها عباراتهم الزهدية المتناثرة في كتابات الإباضية وسيرهم.

ولا شك أن ضرب الزهد الذي عرفه شعراء الإباضية خاصة والخوارج عامة، لدليل واضح على الحضور الزهدي في فكر هؤلاء، ومن ذلكم شعر أبي بلال مرداس بن أدية (ت 61هـ/ 670م)، الذي كان رمز التقشف والزهد عند المحكمة والإباضية.[2]

فكان في نظرهم صحيح العبادة، حسن البصيرة، مرهف الإحساس، قتل بطريقة مؤلمة مريرة، مما جعل منه رمزاً للثورة ونبذ الظلم، ويقول في إحدى قصائده:

نفسي ظنون ولست الدَّهر آمنها من بعدُ كعب وطواف وغسّال

من كان من أهل هذا الدين كان له ودّي وشاركته في تالد المال

الله يعلم أنّي لا أحبهم إلا لوجهك دون العمّ والخال.[3]

ومما قال عمران بن حطان على وفاة أبي بلال:

لقد زاد الدنيا إلى بغضنا وحبا للخروج أبا بلال

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 153.

[2] نفسه: ج2، ص 160.

[3] لدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 168.

أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرى العوالي

فمن يكن همه الدنيا فإن كل من عليها فاني ولها والله رب العرش قالي[1]

كما قال عمران بن حطان هذا الأخير الذي صور لنا الإنسان الخارجي الذي يلتهب صدره بحرارة العقيدة، ويقضي وقته مبتهلا ساجدا، تنسكب عبراته كلها ذكر عذاب يوم القيامة:

متأوهين كأن في أجوافهم نارا شعرها أكف حواطب

تلقاهم فتراهم من راكع أو ساجد متضرع أو ناحب

يتلو قوارع تمتري عبراته فيجودها مري المريِّ الحالب

ومبَّرنين من المعايب أخرزوا خُصلَ المكارم أتقياء أطايب [2]

وبذلك فزهاد الإباضية من فقهاء وعلماء وشعراء، كان زهدهم واحد وهو بعد الدنيا والطمع في الآخرة، وأخلاقهم مشتركة يقولون الحق، ويحكمون بالعدل ويقسمون بالسوية وغيرها من خصالهم الحميدة.

ولما كان الزهد لأهل الإباضية الأوائل، خوفا من المعتبة، وحذرا من المنقصة كان زاد عندهم بذلك أعلى وأرفع[3]، وهو إغتنام الفراغ لعمارة أوقاتهم مع الله تعالى، لأنه إذا إشتغل بفضول الدنيا، فإنه نصيبه من إنتهاز فرصة الوقت.[4]

ولا ريب أن النفس إذا نالت خطا صالحا من الدنيا قويت به وسرت، وإستجمعت قواها وجمعيتها، وزال تشتتها.

وقد فسر الشيخ مرادة الزهد هو إحتقار الدنيا، وإمتلاك القلب بمحبة وتعظيمه لا يرى أن ماتركه لأجله من الدنيا يستحق أن يجعل قربانا، لأن الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فالعارف

[1] سليمان الباروني: الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ج1، ص 72.

[2] نفسه: ج1، ص 72.

[3] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 184.

[4] نفسه: ج2، ص 184.

لا يرى زهده فيها كبير أمر يعتد به ويحتفل به، فيستحي من صح له الزهد أن يجعل لما تركه الله قدرا يلاحظ زهده فيه[1]. ويضيف شاعر آخر وهو عمرو بن الحصين أبياته في صفات الإباضية وأخلاقهم فيقول:

متأهلين لكل صالحةٍ ناهين من لاقوا عن المنكر

صمت إذا إحتضروا مجالسهم وُزن لقول خطيبهم وُقرِ[2]

وفي رثاء زعيم الإباضية أبي حمزة الشاري الذي عد قديس المحكمة والخوارج عموما وهو رمز التضحية والعطاء ورمز الزهد في الدنيا وحب الآخرة:

قد كان مهتديا يهدي إلا له به دوما يصلي ولا يهوى المصلينا

تركتنا كيتامى بادوا لديهم فلم يروا بعده خفضا ولا لينا

فالله يجزيك يا مرداس جنته عنا كما كنت في الإرشاد تولينا.

فكل أوائل الزهاد الإباضية، إتسموا بكل صفات الزهد من الورع وخشية الله بالإمتثال لأوامره، والإنتهاء على نواهيه، وإبعاد النفس وأهوائها عن كل شهوات الدنيا، والإعتكاف على العبادة لنيل الدرجات العليا والفوز في الآخرة بأعلى الدرجات.

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 193.

[2] علال بن عمر، حركة الزهد ومنظومة التصوف عند إباضية المغرب، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج 06، ع 02، ص ص 48-75.

الفصل الثاني: الزهد في المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي

أولا: مظاهره

ثانيا: عوامل إزدهاره

ثالثا: سماته

رابعا: الأئمة الزهاد الرستميين

أولا: مظاهره

1-الدفاع عن الإسلام

لقد ساهم الزهد وبشكل كبير في الدفاع عن الإسلام وذلك من خلال المرابطة والجهاد في سبيل الله ومحاربة أهل البدع والضلال والدفاع عن الرغبة والنظر في شؤونهم.[1]

روي عن أبي الربيع سليمان بن يخلف رضي الله عنه: أنه قلما يقوم من المجلس إلا قال: نعوذ بالله من تهوين رأي المسلمين وتخطئتهم، وعن الترك بعد الإجتهاد ومن الحور بعد الكور، ومن ثم ما يأتي، ومن تحسين القول وتقبيح الفعل. [2]

وبلغنا عن رجال من أهل هذا الزمان، أنهم قد صاروا الى ما حذر منه السلف الأولون من التعسف وقلة التعفف، ولقد بلغنا عن بعض أهل العلم من أصحابنا أنهم قالوا بقيت فرقة ستخرج من هذا المذهب، نعوذ بالله من سوابق الشفاء، ومما يعوق عن التقى، نعوذ بالله من إتباع الهوى المضل ومن قسوة القلب، وجفاء الذكر، وعليكم إخواني بالنظر لأنفسكم مما يخلصها من نار عذابها الطويل، ليس لها من آخر[3].ومن هنا نستنتج أن الأئمة والعلماء الإباضيين بالمغرب الأوسط، كانوا أئمة وعلماء الدين وقادة في الإسلام.

وبلغنا أن رجلا من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن بعض الخلفاء أنه قال: يا أهل مكة ويا أهل المدينة أوصيكم بالله وبالبربر خيرا، فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد أن تضيعوه[4]، هم الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: " يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله في بقوم يحبه ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.[5]

[1] محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 33.

[2] أبي زكريا بن يحي الورجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، المصدر السابق، ص 52.

[3] الدرجيني: طبقات المشايخ، المصدر السابق، ج1، ص 262.

[4] نفسه، ج1، ص 262.

[5] سورة المائدة، الآية 54.

فإباضيوا الدولة الرستمية هم الذين لا ينظرون في حسب أحد خلاف طاعة الله، قال البكري: فمن حين وقعت الفتنة إنما نقاتل نحن العرب على الدينار والدرهم وأما البربر فإنما يقاتلون على دين الله ليقيموه.[1] وقال أبو عبيدة: "أيتهما أعظم إراقة الدماء، أو ترك القيام بدين الله؟

فقال له الرجل: " إراقة الدماء أعظم". إنما إراقة الدماء على القيام بحق الله، رغبة في الجهاد في سبيل الله، لإدراك رضوان الله، فمن أراد غير الله، فالله يحكم بيننا وبينه بعدله وفضله وهو خير الحاكمين.[2]

ولعل أهم شيء يلفت النظر هو تحصل عليه هؤلاء من التأثير الواضح من دخول أفواج من الناس في دين الله سواء أكانوا من العامة أم الخاصة، وهذه الإشارة المبكرة مهمة جداً، فهي كما توجد عند الوسياني توجد عند أبي زكريا أيضا.[3]

ويؤكد شاخت (J,SCHACHT) أيضا أن الإباضية أول من حمل الإسلام الى مالي حيث كان وصول الإباضية الى تلك المناطق النائية مبكرا فلقد كانت الدولة الرستمية، مهتمة بتأمين طرق القوافل فكانت ترسل الجنود معها لحمايتها.[4]

فتذكر المصادر الإباضية أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب،* بعث بمحمد بن عرفة ومعه هدية الى ملك صوصو، وما كان منه إلا ان أبدى إعجابه به وبهديته، فقال له: "أنت حسن الوجه، حسن الهيئة والأفعال"[5].

كما أنه من المعقول جدا أن يكون الدعاة الإباضيون لوجودهم هناك في وقت مبكر كما أسلفنا، ونجد أن الدكتور أحمد إلياس حسين يعلل ذلك بقوله " بأن الأفارقة الذين أسلموا كان بفضل دور الفقهاء الإباضيين، وهذا إن دل فهو يدل على أن الإباضيون خلال عهد الدولة الرستمية إستغلوا المسالك المؤدية من وارجلان وتاهرت الى غرب إفريقيا لنشر الإسلام.

---

[1] البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص 61.

[2] أبي زكريا بن يحي الورجلاني: المصدر السابق، ص ص 131، 133.

[3] بي الربيع سليمان الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 92.

[4] نفسه، ج1، ص 92.

* **أفلح بن عبد الوهاب:** إمام الأسرة الرستمية، ينظر: أبي الربيع الوسياني، المصدر السابق، ص 57.

[5] الباروني: الأزهار الرياضية، المصدر السابق، ج2، ص 194.

ومعنى الدفاع عن الإسلام عند الإباضية بالمغرب الاوسط هو أن يعقد لواء الدفاع أهل الحل والعقد لشيخ يرونه أهلا لذلك حينما يداهمها عدو أراد بهم سوءاً فإن شاءوا عقدوا له بيعة الظهور بعد إنتصاراته، وإن شاءوا عينو غيره، ويرى جهلان عدَّون أن من موجبات الدفاع:

أ)-مداهمة العدو للأمة.

ب)-تفشي الفساد وإنحراف الإمام عن الجادة.[1]

ومن أمثلة الذين عقدت لهم إمامة الدفاع نجد أبا الزاجر إسماعيل بن زياد النفوسي كان إماما من أئمة الإباضية بالمغرب، بويع بإمامة الدفاع بطرابلس سنة 121 أو 132 هـ، بعد مقتل الحارث بن تليد، وعبد الجبار بن قيس المرادي.[2]

وفي ظل هذه النظرة الدينية الاجتماعية، نجد أن ما يؤثر في سلوك الانسان وحياته الخاصة لا نجد أقوى وأكثر مما ورثه الإباضيون الرستميون عن أسلافهم وأجدادهم، فإنتمائهم الى قبيلة ما يجعلهم يضيفون الى ما ورثوه فكريا وعقديا وسياسيا مضرب المثل في الدفاع عن الإسلام ونصرته لتغيير وجه التاريخ.

فإذا أردنا الحديث عن مجتمع ما ودراسة حياته العادية، كان علينا أن ندرس سلوك وطريقة تعامل الإباضيين بالمغرب الأوسط مع غيرهم، فالمجتمع الإباضي كان نظيفا من الرقابة الذاتية والخارجية ومن الآفات والصراعات الداخلية مما يجعلهم يخلصون مذهبهم الإباضي السائد آنذاك لدفاع عن الإسلام بصرامة وتطبيق حدوده.[3]

2-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الكثير من النزهاد في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي سواء من الأئمة أو العلماء أو العامة، كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يخشون في ذلك إلا الله ولم يقتصر أمرهم على العامة فقط بل إمتد الى الخواص منهم بما فيهم الحكام وذوي السلطان.[4]

---

[1] عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش 1818-1914، ط2، سلطنة عمان، 1991م، ص ص 45-47.

[2] أبي الربيع سليمان الوسياني: المصدر السابق، ج1، ص 105.

[3] نفسه، ج1، ص 105.

[4] محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 76.

ولقد كان للمؤسسات التعليمية في الدولة الرستمية من خلال المساجد والكتاتيب والرباطات وزوايا وحتى دور الأئمة والعلماء ومسالكنهم، دور كبير في نشر الزهد والتعريف به من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم تكن مجرد مؤسسات تعليمية فحسب بل تبلورت أنشطتها ووظائفها وتجدرت داخل المجتمع الرستمي لتساهم في حياته الدينية، وبذلك غدت هذه المؤسسات مركز حضارياً عاماً للناس وملاذاً للزهاد وإرشاداتهم.

فالمسجد هو بيت الله الذي يؤدي فيه المسلمون صلواتهم والمسجد عبر التاريخ الإسلامي عامة والتاريخ الإباضي الرستمي خاصة، مكاناً للعبادة والوعد والإرشاد والنصح من خلال دور حلقات الذكر المتعددة والمتنوعة.[1] لقوله تعالى: " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَجِدَ الله مَن آمَنَ بالله وَاليَومِ الآخَرِ وَأَقَامَ الصَّلوَةَ وَأتَى الزَكوَة ولمْ يَخشَى إلا الله فَعَسَى أُولئكَ أن يَكُونُوا مَّن المُهتدَّينَ" [2]

كما أن المسجد بمثابة قاعدة أساسية للعلم والثقافة، لتلقي المواعظ فيه من أهل الدين والعلم والطلب الوافدين، إليه خاصة في مجال الزهد.

ثانيا: عوامل إزدهاره

1-طبيعة نظام الحكم السائد:

ساهم عبد الرحمن بن رستم وأحفاذه من بعده في نشر الأمن والسلام بين أفراد المجتمع بفضل ورعهم وزهدهم منذ تأسيس الدولة الرستمية على أساس حضاري في ظل جو من الطمأنينة، وكانت تاهرت مقصد الرحلات ومركز الهجرات لما شاع من عدل عند أئمة الإباضيين في الرعية وحسن سيرتهم والطاعة والتمسك بالدين.[3] وبفضل زهد الأئمة الرستميين أمثال عبد الرحمن بن رستم، أفلح بن عبد الوهاب وغيرهم شاع التسامح في جميع ربوع الدولة الإباضية بالمغرب الأوسط.

---

[1] أبي زكريا بن يحي الورجلاني: المصدر السابق، ص 147.

[2] أبي الربيع سليمان الوسياني: المصدر السابق، ص 106.

[3] عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 110.

* **القيروان:** مدينة بإفريقية، أسسها عقبة قائد الجيوش الإسلامية التي أرسلها الخليفة عثمان بن عفان لنشر الدين الإسلامي ببلاد المغرب، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في إعتراف الآفاق، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية 1422ه/2002م، القاهرة، ص 119.

من خلال تسامح الأئمة إستطاع علماء أهل السنة القدوم لجدال علماء الإباضية في كل مسائل العقيدة والشريعة، وربما رواد هؤلاء الآخرين والأمل في أن يقنعوا علماء أهل السنة وزهادهم بإعتناق نحلة الإباضية، ومن هذه الناحية كانت شأنها شأن القيروان*حاضرتي الزهد والتعبد ومدرسة لشحن روح الجدال وحب المناقشة وأخذ شيوخ البربر التعمق بالزهد وأسسوا مدرسة زهدية هم بدورهم [1]قائمة على الدين الإسلامي والمذهب الإباضي. كان هذا شأن كل أئمة الدولة الرستمية بدون إستثناء منحت بعض مواطنيه الإحتماء السياسي والمذهبي والإلتجاء وأعطتهم كل ألوان الحماية.[2]

فمنظومة السلوك الزهدي الذي تمتع به أئمة الدولة الإباضية الرستمية كفل للرعية حرية الفكر والتسامح المذهبي والدليل، على أن الطابع الزهدي للأئمة الرستميين قد نتج عنه الإستقرار السياسي بربط علاقات متميزة مع الدول المجاورة والأندلس والمغرب، بالإضافة الى التفتح الفكري والدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة وتشجيعا على طلب العلم والإقبال عليه في جو يسوده التنافس العلمي.[3]

ساهمت الخلفية الزهدية للأئمة الرسميين في بروز الجهود السياسية في العمل في على نشر الأمن والإستقرار في مختلف أرجاء الدولة ويتمثل ذلك في مقاومة الحركات الانفصالية وإخماد الثورات والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف بين الناس ومحاربة أهل الزيغ والضلال والبدع.

حرس الأئمة على تنشيط حركة التعريب وقد واكب ذلك إنتشار اللغة العربية وإستقرار القبائل العربية في مدن الدولة الرستمية[4]، مما ساهم على إنصهار العنصر العربي والبربري في مجتمع ولاء للعقيدة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه. ومن خلال إرساء هذا النظام تمكن الأئمة من بسط حضارتهم بين الأقطار وتوطيد ملكها بالمغرب الأوسط وتثبيت حكمها بأساليب الحكمة والعدل.

فقد إعتنى بنوا رستم بدولتهم ووفروا لها الحماية والإستقرار وشيدوا الكتاتيب والمساجد والمكاتب، وأغدقوا على العلماء والأدباء وقربوهم الى بلاطهم وهيئوا لهم الجو المناسب لإنطلاق حركة فكرية وعلمية

[1] ألفرديل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، ص 149.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 218.

[3] جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 109.

[4] محمد علي دبوز: ج3، المرجع السابق، ص 418.

ودينية مميزة لهم.[1] وأسسوا دولة بأتم معنى الكلمة تشمل تقريبا كل بلاد المغرب الأوسط بحدودها الحاضرة حوالي القرنين 2و3هـ مع العصر الوسيط.

يلاحظ من خلال نظام الحكم السائد ذلك التسامح الديني الواسع الذي كان يسود هذه الإمارة على أساس زهدي محض، إنعكس على كيانها بالإزدهار الواسع حيث عدت تاهرت مركز إستقطابياً مهما في ذلك العهد.[2]

ومما سبق نلاحظ أن الدولة الرسمية توسعت وتطورت وإزدهرت على أساس مبدأ الزهد الذي تميز به حكامها من الائمة الإباضيين بصورة لم تعهدها دول المغرب من قبل، فالزهد عندهم لم يكون حالة فردية فحسب بل كان مذهبا سلوكيا قائما على تعظيم شأن الدين والمذهب الإباضي.

يمكن القول هنا أن الزهد كان له دور كبير في الاستقرار السياسي الذي شهدته الدولة الرستمية لفترات طويله إنعكس عنه الإقناع السلمي.

2-تشجيع الأئمة للعلم والعلماء:

قد غلب على الأئمة الرستميين طابع الزهد في شؤون الحياة الدنيوية وعدولهم عن شهواتها وملذاتها حيث كان همهم الوحيد الظفر بمرضاة الله تعالى، إذ كانت لهم عناية كبيرة بأمور الدين[3]، إضافة الى جهود الأئمة أنفسهم في النهضة الثقافية والثراء العلمي والمعرفي، فقد ألزموا طلبة العلم ان يثبتوا في طريقهم الى أن يرتووا ويكونوا علماء وفقهاء نابغين ويشعرون أن هذا واجب في الدين وفي إطار الدعوة الى المذهب الإباضي الخارجي على هذه الارض التي كانت في أمس الحاجة الى معرفة ما تحمله الرسالة النبوية الى بني البشر.

ولما أدرك الأئمة الرستميون أن الحفاظ على الشريعة الإسلامية وترشيخ المبادئ الإباضية في أذهان الناس أقوى من السيطرة عليهم بالقوة[4]، إستطاعوا بفضل بساطتهم وتقواهم وعلمهم، وبفضل من أحاط بهم

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 184.

[2] نفسه، ص 186.

[3] رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، ط3، 1984، ص 111.

[4] عبد الحفيظ منصور: السياسة الداخلية للإمارة الرستمية 160هـ-296هـ/ 909م-777م، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1421هـ-2001م، ص 149.

من أناس بسطاء ومن علماء وفقهاء ان يكسبوا ثقة البربر وإحترامهم فأحاط هؤلاء الاخرون بهم وتعلقوا بدعواهم الدينية.[1]

لقد بذل الأئمة جهوداً جبارة في سبيل تنشيط الحركة الفكرية والثقافية في ربوع دولتهم من تشييد المساجد والدور العلمية[2]، لذا كرسوا حياتهم للزهد ونشر العلم في المجتمع الإباضي، وحرصوا على القيام بذلك بأنفسهم. [3]

فكانوا أئمة علم كما كانوا أئمة سياسية يتدارسون التفسير والحديث والفقه والكلام وكان العلم والزهد شرطا أساسيا لتولي الإمامة وكان بعضهم يقوم بالتدريس في جامع تاهرت ومسجد نفوسة، ولم يقف الأمر بهم عند حد التعليم، وإنما شاركوا أيضا في حركة التأليف حيث كان مؤسسها من كبار العلماء وكان سمحاً غير متشدد في الدين.

ويعتبر في رأي يعقوب الورجلاني من العلماء الذين أطلقوا الخناق وأوسعوا الرياق فأوسع للأمة في دينها وهو الإمام المسؤول كان يقضي وقت فراغه في الدرس والتدريس والتأليف. [4]

فألف كتابا في تفسير القرآن[5]، وآخر عبارة عن ديوان خطب[6]، وكان المجاز من طرف شيخه بالبصرة*، ولم تكن مهمة الإمام تقتصر على خطبة يلقيها من على المنبر يوم الجمعة وإنما كان دائما الإتصال برعيته يفقهها في دينها ويحثها على العلم.

---

[1] ألفرديل: المرجع السابق، ص 149.

[2] معروف بلحاج: الإنتاج الفكري الجزائري في عهد الدولة الرستمية، الفضاء المغاربي مجلة دورية محكمة، يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص 241.

[3] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 267، ومحمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 373.

[4] أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني: (ت 570 هـ) الدليل لأهل العقول، ج2، المطبعة البارونية يطالون الحجرية، 1036هـ، ص 18.

[5] أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 193.

[6] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 372.

* جاء في لسان العرب في البصرة ثلاث لغات: بَصرة–بِصرة–صُرة، وفي اللغة العالية البصرة، أي الحجارة البراقة، ينظر: أبي القاسم بن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ص 209.

وإن هذا الدور الذي كان يؤديه كل إمام يصل الى الإمارة، إنه إقتداء بالأسلاف الأوائل من الصحابة والتابعين، أو الوافدين أو الفاتحين إلى المغرب الأوسط فيما بعد من أجل نشر تعاليم الدين الإسلامي السمحة بين القبائل البربرية والعربية آنذاك الحديثة العهد بالإسلام.

وكان عبد الوهاب بن عبد الرحمن*، قد قضى في عهده سبعة أعوام بجبل نفوسة في سبيل تلقين مسائل الصلاة وإنقضت الأعوام السبعة وبقيت له بعض الابواب لم يلقِ دروسها لتعمقه في كل مسألة ولأهمية ركن الصلاة في الإسلام.

وكان من أئمة بني رستم أنفسهم من نبغ في العلم والأدب ونطق بالشعر فأبدع وكانت الأوساط العلمية راقية قبلهم فزادوها رقيا وإنتشارا أنشأوا المدارس الكبيرة وأغرموا بمجالس وحلقات العلم.[1]

وهنا إشارة أن معظم أئمة الدولة الرستمية كانوا زهاد محبين للعلم ويعملون على نشر تعاليم الدين الإسلامي من السمحة بين الناس، إذ كانوا يدركون أهمية العلم، فشجعوا على بناء المساجد وتشييدها في جميع البلاد إذ أدركوا أهميتها ليس فقط للعبادة، ولكن أيضا كمدارس لتعليم القران الكريم والشريعة وأصول الدين وإستمرت هذه الظاهرة عند الأئمة وهي تعبر فعلا إهتمام الرستميين بتعليم المغاربة دينهم، وإيصال الثقافة إليهم.[2]

ولم يقتصر عبد الوهاب بتلك الدروس التي ألقاها في مساجد جبل نفوسة وإنما ألف كتابا يعرف عند إبن الصغير بمسائل نفوسة الجبل وهو عبارة عن أجوبة لمسائل أشكلت على أهل نفوسة، ويقول عنه كذلك:' أنه كان في أيدي الإباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن الى أن أخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه.[3]

ولا يكاد يخلو مصدر من المصادر التاريخية التي إهتمت بالمذهب الإباضي وعن فضائل أبناء وأحفاذ بني رستم إلا ووصفتهم بالاستقامة والزهد والورع والإمام عبد الوهاب كثير القراءة والمطالعة عالما أخذ العلم عن حملة العلم[4] الى إرسال ألف دينار لإخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتب، فاقتضى نظر هؤلاء أن يشتروها ورقا وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ والمفسرين حتى أكملوا له ديوانا عظيما فبعثوه إليه، فاجتهدوا

[1] إبن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين: تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص ص 40-43.

[2] أبي زكريا، المصدر السابق، ص 173.

[3] إبن الصغير: المصدر السابق، ص ص 46-45.

[4] معمر علي يحي، المرجع السابق، ص 66.

في قراءته ولما إنتهى منه قال: " الحمد لله إذ ليس فيه مسألة غربت عني إلا مسألتان ولو سئلت عنهما لأجبت قياسا على نظائرهما ووافقت الصواب". [1]

ويذكر أيضا الشماخي: أنه كان من عادته إذا فرغ من صلاة العشاء أخذ كتابا ينظر فيه[2]، وهذا دليل على حب الإمام الزاهد للعلم والمعرفة شأنه شأن أبيه من قبل وليس عجبا هذا عنه، وهو الذي واجه في عهده مختلف الإتجاهات والأفكار والمذاهب في فترة من أصعب الفترات التي شهدها العالم الإسلامي، إذن لا غرابة من أن يذكر الشماخي والدرجيني وغيره من العلماء والمؤرخين على أن بيت بني رستم هو بيت مختلف العلوم.[3]

ومن هنا نرى بأن أئمة بني رستم كانوا يميلون الى حياة الزهد، حيث رسموا لأنفسهم طريق الإصلاح واضحا جليا وإعتمدوا في سبيل تمكين لنفسهم ولدولتهم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر مبادئ الإسلام الصحيحة ومقاومة البدع.

3-الرحلة الى طلب العلم:

يذكر إبن خلدون قائلاً:" في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد من كمال في التعلم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة.[4]

إلا أن حصول الملكات على المباشرة والتلقين أشد إستحكاما وأقوى رسوخا، وكان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمراً شائعاً بين طلاب العلم في المغرب الاوسط مثلما ما كان شائعا في الشرق والغرب في العصور الوسطى، فقد كان الحرص على لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة في طلب العلم، وتحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه أهمية كبرى في التعليم في تلك الفترة فلم يكن يكتفي الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنما كان لابد أن يقرأها أو يسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته، وحجة في عمله، وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يوثق بقوله.[5]

---

[1] أبو العباس الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 55.

[2] لخضر سيفر: التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج1، مطبعة أمل الدراسات (د.ت)، ص 96.

[3] أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، المصدر السابق، ص 149.

[4] عبد الرحمن إبن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 744.

[5] نفسه، ص 744.

لم يكن المغرب الأوسط بعيدا عن التطورات السياسية وعلمائه ومعزلين عن التحولات الثقافية والفكرية التي يعيشها العالم الاسلامي بشقيه الشرقي والغربي، ولم ينفكوا البتة يربطهم إتصالات متعددة الأوجه بنظرائهم من عواصم الأندلس والمغرب والمشرق على وجه العموم، وعمل الرستميون على توثيق علاقات الثقافية والدينية بمختلف البيئات العلمية والإحتكاك بمراكز الثقافة في العالم الإسلامي، فموقع تاهرت مكنها من أن تلعب دور الوسيط بين حواضر ومراكز الإشعاع الحضاري في المغرب الإسلامي.

ورغم الصراع والإختلاف المذهبي بينه وبين القيروان لم يكن حائلا دون إقامة جسر من التواصل الفكري والثقافي بين الحضارتين[1]، فقد تواجد أهل القيروان بها بالمسجد الخاص بهم ورحبتهم، وساهموا في الحياة الفكرية للدولة، ودخلوا في مناظرات مع علماء الإباضية وغيرهم.

فعلى سبيل المثال من علماء تاهرت الراحلين الى الأندلس عبد الرحمن بن حماد التاهرتي*، ووفد عليها عدد غير قليل من الأندلسيين حيث يطلعنا مؤرخوا الإباضية على شخصين أندلسيين كانتا بها عند وفاة عبد الرحمن بن رستم سنه 171 هـ، هما مسعود الأندلسي** وعمران بن مروان الأندلسي***، أنهما من الشخصيات المترشحة للإمامة بعده[2]، فقد لعب التنوع السكاني الى تعدد الثقافات وكان له الأثر في بناء حضارة ذات مشارب مختلفة في ظل المذهب الإباضي.

ولعل الوصف الذي وصف به المقدسي تاهرت يدل على ما أدخله هؤلاء الوافدين عليها من ثقافة شملت جميع مظاهر الحياة خاصة الزهدية والدينية إذ وصفها بقوله: " هي بلخ المغرب... إنتعش فيها الغريب وإستطيبها اللبيب يفضلونها على دمشق وإختطوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا[3]، أما الرحلة بين

---

[1] تالية سعدو: الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، العدد 1، جامعة وهران، الجزائر، 2011، ص 67.

* **عبد الرحمن بن حماد التاهرتي:** من أهل القيروان، يكن أبا زيد، قدم الأندلس، عاصر الأندلسيين: ينظر أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 45.

** **مسعود الأندلسي:** أحد الفقهاء الفضلاء الذين عرفتهم تاهرت، ينظر محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 108.

*** **عمران بن مروان:** أحد علماء الإباضية في الدولة الرستمية، عاصر الإمام الرحمن بن رستم وكان على درجة عالية من الزهد والصلاح والورع والعلم، ينظر: سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني، المرجع السابق، ص 99.

[2] أبو العباس الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 46.

[3] شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: محمد أمين الصناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 185.

تاهرت والمشرق فكانت في الغالب من أتباع المذهب الإباضي الذين قدموا من البصرة والكوفة حتى غدت تعرف ببلح المغرب أو عراق المغرب.

وقد كان هذا ما تذكره المصادر التاريخية الإسلامية حول عاصمة بني رستم وكيف كانت علاقتهم مع الدول الإسلامية الاخرى التي لا تتبع الإباضية مذهبا وكان القادمون إليها من الكثرة بحيث بنوا مساجدهم الخاصة بهم عرفت بأسمائهم، وهذا ما أورده ابن الصغير بقوله: "وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار وأقاصي الأقطار، ليس لأحد ينزل بهم من الغرباء إلا إستوطن معهم وإنتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامة وعدله وزهده في رعيته، وأمنه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين.[1]

لقد عرفت في الغالب نحو المشرق بتحقيق هدفين: أولاهما تأدية فريضة الحج بإعتباره ركن من أركان الإسلام خصوصا بالنسبة للمغاربة البربر الذي حسن إسلامهم، وثانيهما علمي حيث كانت القوافل تخرج من تاهرت لأداء فريضة الحج، ولا شك أن تلك القوافل من الحجاج كانت لها إتصالات مع مشايخ المشرق وعلمائه. [2]

فقد كان لمحمد ابن محبوب وابنه من علماء المشرق في خيام تعرف بمضارب محبوب وكان يقصدها المغاربة لأخذ العلم.[3] كما كانت رحلات للعلماء طلبا للعلم نذكر منها رحلة بكر بن حماد*، الذي رحل الى المشرق ودخل البصرة وبغداد، وكانت له إتصالات بعلماء عصره.[4]

وكما يبدو أن طبيعة العصر الذي عاشته الدولة الرستمية قد فرض عليها هذا الاتجاه، فأوفدت الوفود الى المشرق وغيرها من البلاد الإسلامية فيرجعون مزودين بالعلوم وقد سهل مهمة الإنتقال بين مشرق العالم

[1] إبن الصغير: المصدر السابق، ص ص 31-35.

[2] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 392.

[3] نفسه، ص 392.

* **بكر بن حماد:** عالما بالحديث وشاعراً تاهرتي، رحل إلى المشرق طلباً للعلم في سنة 217هـ، ينظر: إبن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 153-154.

[4] نفسه، ص 154.

الإسلامي ومغربه كان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل حدود هذه الدولة في ظل دينه وتحت رايته، وفيها يجد الناس يعبدون الإله الواحد الذي يعبده، ويصلون كما يصلي، وكذلك يجد شريعة واحدة وعرفاً واحداً، وعادات واحدة، وكان يوجد في هذه الدول الإسلامية الإباضية قانون عملي يضمن للمسلم حق المواطن. بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية أن يمسها أحد، وبحيث لا يستطيع أحد أن يسرقه على أي سورة من الصور.[1]

فأصبحت الرحلة وخاصة في طلب العلم تقليداً علميا ساد بلاد المغرب الأوسط عامة والدولة الرستمية خاصة، ولعل السبب في ذلك يرجع الى الطابع الزهدي الغالب على الإباضيين ورغبتها الشديدة في زيارة أبرز الشيوخ والعلماء في المشرق تحديدا البصرة بملاقاتهم والأخذ عنهم، مما يزيدهم صلاحاً وورعا ورشدا وشهرة بعد عودتهم.

ثالثا: سماته

1-عقديا: تميز الجانب الروحي لإباضية المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية بالعبادة التي تعتبر أساس الحياة الزهدية ومنظومتها عندهم، فكانت العبادة من صلاة بما تشمله من قيام وتهجد وورع وخشية من الله سبحانه وتعالى، فمن الأعمال التي يقوم بها الزهاد هي كثرة الصلاة وخاصة في أطراف الليل،

فقد يبقى الزاهد منهم يصلي من صلاة العشاء الى غاية طلوع الفجر.[2]

ومن شدة زهدهم لا يخشون من أي خطر يحدق بهم إيمانا بقضاء الله وقدره حيث تجد أنهم عاشوا على التقوى والورع والصلاح والتوبة.[3]

فكان هذا هو قمة الزهد وهو أن تحب الله وتخلص له في عملك فلا تخشى من أي خطر محدق فهكذا كان الزهاد لا يخشون في الله لومة لائم.

---

[1] إبن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 120.

[2] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 136.

[3] الباروني: المرجع السابق، ص 88.

* يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت310 هـ/ 922م) تولى الإمامة الرستميين (282هـ/ 895م)، شهد سقوط الدولة الرستمية، ينظر: إبراهيم بن بكير بحار وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1420هـ/1999م، ص 196.

ويعقوب بن أفلح* (ت310 هـ/ 922م) كان مجتهدا في الليل وخر عليه السقف إلا الخشبة التي تقابل رأسه فما برح قائما خاشعا حتى جاءه الناس فكشفوا عنه، ولما سئل قال ظننت القيامة قامت.[1]

فهذا هو زهده، تمثل في خشوعه في الصلاة وتذكره للأخرة، وإمتلاء نفسه لهذه الذكرى[2]، حتى أنه ليوهمه قيام الساعة بزلزلة البيت المنهار.[3]

فهذا هو يعقوب بن أفلح في ورعه وزهده وقوة إرادته، فليس ممن تتحكم فيهم غرائزهم وأهوائهم[4]، بل نفسه ممتلئة، من خشية الله والايمان بقدرته عز وجل، وكبار الزهاد نجد الإمام عبد الرحمن بن رستم كان يقوم الليل، ويصوم النهار وينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف.

والواضح أن الزهد عندهم يملأ كل حياتهم، حيث لا يخلو موضع يوجدون فيه إلا وكان موضع يتعبدون فيه من مجالس للذكر أو الصلاة أو قراءة القرآن، فلا يكلون ولا يملون فهم باعوا الدنيا وشهواتها طمعا في ثواب الأخرة.

وكذلك الإمام أفلح كان ورعا متمسكا بالدين كل التمسك في كل الأشياء كما كان ابنه يعقوب حذا حذوه في الزهد[5]، فقد سأله سائل ذات يوم أتحفظ القرآن فقال أستعيذ بالله على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم أحفظ وأعرف معناه، فكيف بالكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.[6]

وكذلك أيوب بن العباس*، كان رجلا زاهدا مولعا بقراءة القرآن فكان ضيفا عند المعتزلة وبعد العشاء أخذ في قراءة القرآن بعد أن صلى حتى الصباح، فصلى بوضوء صلاة العشاء الأخير. [7]

والواضح أن الزهد عندهم يملأ كل حياتهم، حيث لا يخلو موضوع يوجدون فيه، إلا وكان موضع يتعبدون فيه من مجالس للذكر او الصلاة أو قراءة القرآن، فلا يكلون ولا يملون فهم باعو الدنيا وشهواتها طمعا في ثواب الآخرة.

---

[1] أبو زكريا، يحي بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم، المصدر السابق، ص 161.

[2] علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص 122.

[3] نفسه، ج، ص 122.

[4] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 142.

[5] أبو زكريا: المصدر السابق، ص 166.

[6] بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص 342.

[7] علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 533.

وبلغنا عن أبي خليل كان من قادات المسلمين وكان يمضي الى المسجد فيمكث فيه ما شاء الله، ليصلي ثم يمضي أحيانا ثم يرجع مسرعاً، فكان هذا هو زهده وهو أنه كان معتكفا في المسجد للصلاة والعبادة فلا يخرج منه، إلا لقضاء حاجته ثم يرجع اليه مسرعا من شدة عبادته وتقواه وزهده عن الدنيا وملذاتها وخشية من الله عز وجل.[1]

ومنهم ايضا أبو زكريا تعود الصلاة في موضع معلوم فإذا طلع الفجر نظروا الى الموضع الذي يصلي فيه، فإذا هو قد إبتل بالدموع كأنما توضأ فيه أحد من الناس. [2]

فهكذا كان ورعهم وخشيتهم دائمة لا يشغلهم شاغل عن عبادة الله حتى ولو كانوا في قمة التعب، فيسعون دائما لنيل رضا الله بما يقومون به من عبادات تاركين للدنيا وشهواتها مشغلين بأمور الآخرة والفوز الأخير بها.

وأبو القيظان* كان زاهدا ورعا ناسكا، كما أن أبو عبيدة الأعرج كان غاية في العلم والعمل والورع والزهد، وقال غير واحد، فما رأيت في سود الرأس اخشع لله منه.[3]

فكانوا في مجملهم يريدون شيئا مشتركا وهو تقديم كل شيء يؤدي الى نيل رضا الله تعالى وفوزهم بالدرجات العليا في الجنة، ونجد أيضا أن كبار أئمة الإباضية وعلمائهم ورؤسائهم كانوا زهادا فنجد عبد الرحمن بن رستم كان من الزهاد المعروفين بالزهد والتوبة.[4]

ومن صفات الزهاد أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنجد في هذا السياق كان الإمام أفلح شديدا الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالي الهمة لا يخاف في الله لومة لائم.[5]

كما أن الإمام عبد الوهاب كان زاهدا وكان يعمر مسجده بمجالس الذكر العظيم، وأضاء فيه الليالي الطوال بالعبادة وإلقاء الدروس على إختلاف فنونها.[6]

---

[1] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 221.

[2] نفسه، ج1، ص 121.

* **أبو القيظان:** (ت حوالي 283هـ)، كان مربع القامة أبيض الرأس واللحية، حكم 22 عاماً، ينظر الباروني، المرجع السابق، ص 108.

[3] نفسه، ص 108.

[4] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 156.

[5] أبو الربيع الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 132.

[6] نفسه، ص 132.

فالجانب العقدي للزهد عند الرستميين كان واضحا بالنسبة لشخصية الأئمة في التقى والخير بما كان والتهجد والعبادة، يشغلون بأشغال العبادة فيقومون بكل العبادات من صيام وصلاة وزكاة وحج، ويخصصون حتى أماكن خاصة لهم يتعبدون فيها وهذه هي صفاتهم كزهاد يتميزون بالثبات الخالص والفهم والرغبة في الخيرات، والخوف والوجل والخشية والخشوع الدائم من الله تعالى. وكان الزهاد الإباضيين في عهد الدولة الرستمية يحيون مجالس الذكر والوعظ في المساجد والبيوت والأماكن الخاصة لليالي بكاملها.[1]

2-ماديا:

من بين الأشياء التي زهد فيها الإباضيين الرستميين هي زهدهم في المال، وتقشفهم وتمثلت في العيش على أبسط حال من مأكل ومشرب وملبس، فنجد الإمام عبد الرحمن بن رستم أُختصرت حياته آنذاك على الضروري من العيش.[2]

ومن شدة زهده في الدنيا وزخرفها أن وفداً من المشرق بثلاثة أجمال من المال لكنه رفضها وردها مع أصحابها الذين جاءوا بها.[3]

فعظم بذلك عند القوم حظ عبد الرحمن، وزاد في قدره ومكانته ورأوا أنه لو كان طالبا للدنيا لرغب في الأموال ومن زهده وتواضعه أنه كان يقوم ببناء داره بنفسه وبمعونة عبد له.[4]

كذلك الإمام عبد الوهاب كان مثالاً في الزهد والعفة والنزاهة والتمسك بالدين في تجارته لا يرضى أن يدخل يده درهم واحد حرام.[5] وأيضا الإمام يعقوب بن أفلح كان في غاية العفة والزهد عن مغريات الدنيا فلم يسمح للتمتع بالمال، فكان بعيد الهمة نزيه النفس ما حبس بيده دينارا ولا درهما.[6]

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 80.

[2] إبن الصغير، المصدر السابق، ص 26.

[3] علي دبوز، المرجع السابق، ص 232.

[4] الدرجيني، المصدر السابق، ص77.

[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[6] الباروني، المرجع السابق، ص 42.

فكان الجانب المادي من زهدهم هو غاية الترفع عن المال أو المادة والتقشف عن مغريات الدنيا الفانية طالبا للآخرة الباقية.

وكذا الإمام أبي القيظان كان يذكر آخرته في كل الأمور وكان حليما متواضعا مخلصا، يعمل لله تعالى ولصالح الدولة، لا لنفسه متقشفا في عيشه لا يغرم بالمادة، ولا يفتنه زخرفها، فحقق بذلك مثالية الأئمة الدينيين المتقشفين، فكان متقشفا ورعا مما جعله موضعا للحب والتقدير من الجميع.[1]

فمات أبو القيظان وكل شيء وجد له في تركته، سبعة عشر دينارا هذا هو حاله وقد حكمها من تاهرت بالمغرب الى أرض سرت، فهكذا والله العدل وهكذا الزهد والورع.[2]

فتكفي هذه الشهادة على جهد أبي اليقظان وورعه وكذا لا يختلف في زهده عن الأئمة في الورع والخشية والصلاح في الدنيا راغبا للأخرة، فالإمام عبد الوهاب أصابه مطر بين منازل نفوسه وهو مرتحل فقصد دار مهدي، فوجدها دار عابد زاهد، ليس له رغبة في الدنيا فلم يجد بها ما يقي عن نفسه من المطر.[3]

فكان أئمة بني رستم الزهاد من شدة تمسكهم بالدين وقناعتهم وزهدهم في الدنيا قد يبقون صائمين زمنا طويلا، يحضرون مجالس الذكر كل ليلة بإستمرار. وهذا الإمام أفلح كان رجلا صالحا زاهدا يدعو أهل الجبل، فسئل مرة عن دواء الذنوب، فقال فلو أن الله لو بسط الرزق لعباده لبغوا وإنما ينزل بقدر ما يشاء، [4] ويعقوب بن أفلح من كبار الزهاد الإباضيين الرستميين فكان رجلا ورعا زاهدا وذا برهان. [5]

فعندما يعتمد الباحث في شخصية الأئمة الرستميين الثمانية، يجد أنه يعجز عن التعبير عن هذه الظاهرة لديهم، وهو أنهم زاهدين في كل شيء وفي نفس الوقت حققوا كل شيء، فهم لديهم قناعة أن الله يبعث ما يحميهم من كل شيء يضربهم أو يجعلهم مرتكبين للخطيئة. [6]

[1] نفسه، ص 42.

[2] الوسياني، المصدر السابق، ص 56.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 66.

[4] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 35.

[5] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 114.

[6] الوسياني، المصدر السابق، ص 59.

وتستطيع أن نقول أن ما أوردناه في ذكر المصادر للزهاد، قد حدثنا بواقع حياة الزهاد وما قد يتعرضون له، من مغريات للزيغ عن مبادئ زهدهم إلا أن تمسكهم به، قد منعهم من الميل والتخاذل فيما إعتادوه، من تقشف وصوم وصلاة وغيرها من العبادات التي سار على نهجها هؤلاء الأئمة الزاهدين.

ويستشف من المصادر ذاتها أن الزهاد كانوا خيرة الناس، علما وورعا وزهدا وخشوعا وخشية من الله عز وجل لا يغريهم متاع الدنيا ولا زخرفها عاشوا حياة بسيطة، مترفعين عن كل ملذاتها وشهواتها.

رابعا: الأئمة الزهاد الرستميون

عرف الزهد عند الأئمة الرستميين عدة سمات تتمحور حول معنى واحد وهو التفرغ للعبادة، وما يتعلق بثواب الآخرة، والصد عن كل ما يتعلق بالدنيا ولشدة تعلقهم بالدين وتمسكهم به، وتعلق أرواحهم بالله عز وجل، أصبحت فيهم صفات الرجال الصالحين المكرمين بالدعاء المستجاب والكرامات وغيرها مما تسبب أُتصف بأصحاب الصلاح.

1-عبد الرحمن بن رستم: كان شخصية قوية وحازمة في ترتيب أمور البلاد، إستمر فيها بالعدل والإنصاف متبعا أحكام الدين، متبعا لأوامره واقفا عند نواهيه.[1]

نشأ عبد الرحمن على الأخلاق الفاضلة والعادات السامية، مدافع عن العلم فأقبل عليه في المساجد، كان أحد حملة العلم، تقيا متقشفاً متواضعا محبا للعدل والمساواة.[2]

وبذلك فعبد الرحمن كان زاهدا لنفسه المطيع ذو المناقب الشهيرة والمأثر الكريمة وقد وصف باستجابة الدعاء والتفرغ لفعل العبادات، ظهرت شخصية عبد الرحمن كشخصية قوية بما عرفت من نشاط وزهد في الدنيا والحكم بكتاب الله وسنته فأحسن السيرة في الإمامة ينقم عليه أحد في حكومته ولم يكن على يده إفتراق الإباضية يومئذ كلها مجتمعة مؤتلفة لم يتأثر منها تأثر.[3]

[1] ابن الصغير، المرجع السابق، ص 28.

[2] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 62-63.

[3] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص280.

فكان عبد الرحمن بن رسم مثالا للتقوى والورع وفي عمل الله لا تستوي عليه غرائزه فيعمل لنفسه، بل يرى ما يغنمه لنفسه يعود بالخير وإسعاد الناس الذي يرفع درجاته عند الله ويجزل أجره في الآخرة ويرجع عليه بالسعادة في الدارين وكان مثالا لمراقبة مصالح الدولة والشعور بالمسؤولية.[1]

فهو شخصية متواضعة ذا بصيرة موفقا في أعماله متدبراً في حركاتهم ومراعياً كل المراعاة بكل حذق عواقب الأمور ولم يتبع الذوق العام في الترف وكان شخصية زاهدة في المال مع إقباله عليه فإستطاع بذكائه وورعه أن يوحد قبائل المغرب الأوسط. [2]

بالإضافة الى أنها شخصية إستشارية وزاهدة وعادلة ومتواضعة وذلك من خلال موقفه مع أهل البصرة في المعونة الأولى للدولة الرستمية، حيث قال أبو زكريا: ثم إن عبد الرحمن إتصلت أخباره إلى البصرة من أهل دعوة المسلمين. أخبروا أهل دعوته بعدله وفضله وورعه، وهذا إن دل فإنه يدل على شخصية الزاهدة ورغبتها بالآخرة. [3]

2-أفلح بن عبد الوهاب: ظهرت شخصيته المتزنة القوية في عدة جوانب، وأتواه الرعية وإرتضوه لخاصتهم وعامتهم لعدله ودينه، لا يجامل أحدا في حكمه ولو كان أخاه أو أباه أو صهره وحكمه بما أنزل الله ومساواته بين الجميع في الحقوق والعدل بينهما في كل شيء. [4]

كما شهد عهده الإزدهار العمراني حيث عمرت إمارته مالم يعمر أحد ممن كان قبله وذلك يرجع الى إلتزام شخصيته، كانت مده إمارته 50 عاما فشمخ ملكه وابتنى القصور وإتخذ بابا من حديد وبنى الجفان، وأطعم فيها أيام الجفان، فعمرت مع أفلح الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأنواع التجارات.[5]

فكان الإمام أفلح من مستجابي الدعاء وأهل الكرامات الجامع بين العلم والعمل والورع والمخلص في السراء والضراء. بالإضافة الى عدله وزهد وورعه كان أفلح شخصية سياسية قيادية بإمتياز.[6]

---

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 54.

[2] سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 123.

[3] إبن الصغير، المصدر السابق، ص 29.

[4] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 457.

[5] علي محمد معمر، المرجع السابق، ص ص 58-59.

[6] إبن الصغير، المصدر السابق، ص 48.

فنجد الإمام أفلح أنه كان يعلم ما يجري في المستقبل، فقد سألته أخته ما أول ما يذبح غدا في السوق ان شاء الله فقال بقرة صفراء في بطنها عجل وكان الأمر كما قال.[1]

ومن خلال ما سبق نرى أن الإمام أفلح كان شخصية مستقلة بفكرها ومبادئها الإسلامية الخالصة المبنية على الزهد في الدنيا وترك ملذاتها وشهواتها إخلاصاً للآخرة الباقية الخالدة الأمر الذي إنعكس على طريقة حكمه لدولته مما إنعكس على رعيته المحبين له لشدة عدله وصدقه وورعه.

ورضيت به العامة والخاصة إماماً، حيث قال ابن الصغير: "فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم، ونشأ له من البنين ما لم يكن لغير ممن قبله وطار له الصيت".[2]

وهذا الإمام أفلح قد تصدر مجالس الذكر والوعظ والإرشاد في وقت مبكر من عمره، فقبل أن يبلغ الحكم كانت له أربع حالات في فنون المختلفة وفي الفقه والأصول والنحو وغير ذلك.[3]

3-أبو اليقظان محمد بن أفلح: كان الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح غاية في العلم والزهد والورع، وبلغ بذلك الغاية في العدل والفضل والإقتداء بسلفه، وكان محمود السيرة مجتهدا في الصلاح، قائماً بالحق قاضياً بالعدل إلى أن علت سنه ورق عظمه.[4]

ويصفه إبن الصغير بقوله: " كان زاهدا ورعا ناسكا سكنا ناسكا سكينا"[5]. وقد ورد في السير أن أهل نفوسة جعلوا مجلس أبي اليقظان كالمسجد، فطائفة يصلون وطائفة يقرأون القرآن وطائفة يتذاكرون في فنون العلم.[6]

فالإباضيون يقرون بعلمه وفضله وزهده، فحياته الزهدية كانت مبنية على التفوق على التقوى والصلاح والتعبد والذكر والوعظ بكلامه في مختلف مجالس الذكر، فكان من الصالحين اهل الدعوة الإباضية.

---

[1] الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص ص 167-168.

[2] إبن الصغير، المصدر السابق، ص ص101-102.

[3] نفسه، ص 102.

[4] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 326.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 106.

[6] الوسياني: المصدر السابق، ج1، ص 503.

كانت شخصيته قوية، إماما فحلا بمعنى الكلمة وبالأخص في الظروف التي أصابت الدولة الرستمية، ولقد ميز هذه الشخصية العدل والزهد والورع، فإمتلأت عموم ولايته بالعلم والعلماء والزهاد وكانت له عدة مناظرات ورد على الفرق المخالفة على للدين في مقالات ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم.[1]

عموما إتصفت شخصية أبي اليقظان بالقوة والشجاعة والزهد والورع والعدل والعلم، هذه الصفات جمعت في شخص واحد الذي عرفت الدولة الإستقرار والأمن في عهده.

4-يعقوب بن أفلح:

أما بالنسبة ليعقوب بن أفلح، كما قال أبي زكريا لما كان في وارجلان أنه شخصية عفيفة وصاحبة كرامات متدينة حافظة للقرآن مجتهدا في الليل. قال أبو زكريا: " وبلغنا أن بعض أهل ورجلان سأل يعقوب بن أفلح، فقال له: أتحفظ القرآن كله، قال يعقوب معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لم أحفظه وأعرف معناه، فكيف بكتاب أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.[2]

كان للإمام يعقوب شخصية عفيفة ونزيهة ومتواضعة حيث قال ابن الصغير: " وكان يعقوب بن أفلح بعيد الهمة ونزيه النفس ماجس بيده دينارا ولا درهما وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه.[3]

أما عن آخر أئمة تاهرت وهو الإمام يعقوب بن أفلح فإنه كان غاية في الزهد والعبادة، قال الدرجيني " وكان أيضا غاية من مجاهدة نفسه، وكان صاحب كرامات".[4]

وذكر أنه قام ليس ذات ليلة يتهجد في بيته فبينما هو قائم يصلي إذخر سقف البيت إلا الخشبة التي تقابل رأسه، وفما برح قائما خاشعا حتى جاءه الناس فكشفوا عند الردم فوجدوه على حالته، ولما خرج من صلاته بعد إتمامها قالوا له: ماذا ظننت؟ قال: ظننت أن القيامة قد قامت".[5]

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 107.

[2] أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص: 99-101.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 98.

[4] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 82.

[5] نفسه، ص 82.

ومما ذكر فالإمام يعقوب بن أفلح ورث عن أبيه الذكاء والاستشارية فشخصيته الزاهدة والعادلة والمتواضعة، كان لها أثرها في الإزدهار الفكري الذي عرفته الدولة الرستمية في عهده، حيث عمت المساجد وجوامع تاهرت بالزهاد والفقهاء وإشتدت حلقات الذكر والإصلاح والإرشاد والمناظرات فيما بينهم.

الفصل الثالث: تأثير زهد الأئمة على مختلف جوانب حياة الرستميين

أولا: الحياة السياسية

ثانيا: الحياة الاجتماعية

ثالثا: الحياة الإقتصادية

رابعا: الحياة الفكرية

أولا: الحياة السياسية

لقد ساهم الزهد مساهمة كبيرة في إزدهار وتطور الدولة الرستمية، في وقت من الأوقات فكان له من المحاسن والمآثر مازاد في أمان الناس وإستقرارهم فقد كان له الدور الكبير في الحياة السياسية وقد تجلى ذلك في شخصيات الأئمة، الذين إتصفوا بالزهد والورع، حيث يجعل في أصحابه صفات كثيرة تساعدهم على تقوية دعامات الدولة وتوطد إستقرارها.

فمن الصفات التمسك بالأخلاق الحسنة من عدل وأمانة وصدق ونزاهة وتعفف وتقشف، والترفع عن أموال الدولة، ومن أوائل الأئمة الزاهدين خلال العهد الرستمي الإمام عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة.

فقد كان أول من ملك من الرستميين، وكان من المعروفين بالزهد والتواضع،[1]

فكانت هذه السمة الأخيرة هي التي ساعدته على التحكم في سياسة دولته الى جانب زهده فقد تولى عبد الرحمن رستم إمارة تيهرت بكل عدل وأحسن تسيرها.[2]

فكانت مدينة تيهرت في بداية أمرها مدينة متقشفة متواضعة، يسيطر عليها مظهران العسكري الذي تسيطر عليه شخصية الإمام الزاهد الورع، الذي يدبر بنفسه شؤون دولته وبين الميزات التي جعلته يسيطر على دولة ويجعلها مزدهرة هي سياسته النابعة من تمسكه بالدين وزهده والتي كان العدل وأبرزها،[3]

فقد كان عبد الرحمن الرجل إدارة على النحو المثالي، أشاع العدل في دولته فإنه كان رجل سياسة من طراز فريد.[4]

فالعدالة كان لها دور كبير في إزدهار الدولة حيث أصبح أهل ثقة للجميع، فعن طريق العدالة في توزيع الاموال والارزاق حققت إمارة تيهرت الرستمية على عهد العهد عبد الرحمن، ما كان يصبو إليه الكثيرون من المساواة في الحقوق والواجبات.[5]

[1] شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ط1، القاهرة، دار المعارف، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، ص ص 30-31.

[2] إبن صغير، المصدر السابق، ص ص 39-40.

[3] نفسه، ص 41.

[4] الحريري، المرجع السابق، ص 225.

[5] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، دار المعارف، ج1، ص10.

ومما سبق نستنتج أن الزهد لعب دورا بارزاً في تسيير شؤون الدولة الرستمية سياسيا الأمر الذي إنعكس على شيوع العدل والمساواة بين الناس منذ تأسيس العاصمة تيهرت على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم الزاهد العالم المصلح الذي كان همه الوحيد توحيد قبائل الدولة الرستمية حتى يستقر الحكم.

ولم يشمل عدله السكان الأصليين فقط، بل شمل حتى الغرباء فكانت سيرة عبد الرحمن في إسباغ العدالة، وإقرار الأمن دون تمييز بين المواطنين الأصليين والغرباء، فقد عاش فيها كثير من البصريين والكوفيين ولكل ناس منهم مسجد معروف بهم.[1]

فكان زهد عبد الرحمن وتمسكه بمبادئه وأخلاقه التي لا تسمح له القيام بأشياء خارجة عن نطاق عادته وتقاليده والبيئة التي نشأ فيها، فحكم إمارته بأمر الله وزهد الدنيا بعد أن تمكن منها.[2]

فلم ينقم عليه خصومه ولا حكومه، ولا أخذ مال ولا ميل للدنيا.[3] فقد نجح عبد الرحمن بن رستم لما يتسم به من صفات القائد العسكري والرجل العملي والإمام الروحي في تأسيس رابطة مذهبية بين إتحاد قوي يضم قبائل مختلفة.[4]

وهكذا عاشت الجماعة الإباضية في ظاهره في تاهرت في ظل إمامه عبد الرحمن بن رستم في نظام مثالي متوازن يحقق العدالة والمساواة بين جميع أهل الدعوة ولم ينقم على عبد الرحمن بن رستم أحد من رعيته في خصومه أو حكم ولم يكن على يديه إفتراق ولا إنشقاق.[5]

وعبر الأستاذ عثمان الكعاك عنه بقوله: " فإستمر في عمله فرتب البلاد وإستمر فيها العدل والإنصاف متبعا أحكام الدين، ومتبعا لأوامره وافقا على نواهيه فدانت له رقاب خاضعة لعدله، ووفدت الأقوام الى مملكته راحله تحت رايته لمالها من كفالة في حكمه، في الارتزاق تحت ظل الأمن والرعاية.[6]

---

[1] إحسان عباس، المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، ع41/ 61976، ص 20.

[2] نفسه، ص 20.

[3] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 42.

[4] سعد زغلول، المرجع السابق، ص 11.

[5] علي دبوز، المرجع السابق، ص 505.

[6] سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 12.

ويعد الإمام عبد الرحمن بن رستم من خيرة رجال الدولة ممن كان يتوسم فيهم الصلاح والعلم والتقوى والنزاهة والتشاور مع جماعة الدولة الإباضية.[1]

فكانت هذه الصفات التي أقامها في دولته منبعها زهده في الدنيا، فلم يكن يسعى لخدمة مصالحه بل كان يسعى لخدمه مصالح العامة من المسلمين وهو الاخر يعتبر من مناهج الدين، فكانت الدولة الرستمية في عهده في أيام البناء والعمل والكد في سبيل الغايات.

فقد كانت الدولة الرستمية في عهد الإمام عبد الرحمن، كلها على الهدوء والهناء وعلى الإتحاد والمحبة ولا على السعادة والرضا ولم يشغب عليه شاغب ولا نافسه منافس.[2]

فالإمام كان القدوة الطيبة لرعيته والتقوى والعفاف والتفاني في خدمة مصلحة الجماعة، وعلى الجملة في حسن السيرة وإقامة الحق والعدل،[3] ثم جعله ينجح بإقامة دولة وصل صيتها كل الأقطار.

إن الحياة السياسية في عاصمة الإمارة قامت على دعوة دينية، فجمع القضايا السياسية والخلافات وأزمات الحكم وضروب المعارضة والإنتفاضات تصبغ جميعها بالصبغة الدينية، وصبغته الدينية تمثلت في الزهد. والمهم من كل هذا أن تاهرت ترقى وتزدهر عند أيام عبد الرحمن.

وإن هذا التطور تم في أقل من ثلاث سنوات، أيام الإمام عبد الرحمن بن رستم ضمن قرية صغيرة ريفية الطابع فقيرة تقبل المساعدات من وفد المرق لتبني لها قوة تدافع بها.[4]

فقبل عبد الرحمن بن رستم مساعدات الوفد المشرقي، فترتب عن ذلك أن قويت جماعة الإباضية في تاهرت وإنتعش فقرائها وحسنت أحوالهم.[5]

إن زهد هذا الإمام قد منعه أن يقبل بعد هذا التطور في البلاد مساعدات الوفد المشرقي الثاني، فتعجبوا زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة وإعترف كل إباضي بإمامته وواصلوه بكتبهم ووصاياهم.[6] وفي هذا المقام يؤكد كتاب الإباضية فضل عبد الرحمن وعدالته التي كان سببا في الإعتراف أنه كان شخصا

[1] علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 506.
[2] سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 13.
[3] إحسان عباس، المرجع السابق، ص 23.
[4] سعد زغلول، المرجع السابق، ص 12.
[5] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص46.
[6] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 30.

زاهدا وراغبا ذا حنكة سياسية، فحسنت سيرة الإمام في رعيته وزهده، حتى طار خبره فبلغ المغرب والمشرق لذلك أرسلوا له بتلك الأحمال، التي رفضها فضرب لأهل بلده، ولإخوانه من أهل الدعوة المثل في والمحافظة على سنن السلف الصالح.

وهي التي كانت تقضي بعدم خروج صدقه بلد من البلدان الى أهل بلد غيره طالما كان فيهما المستحقون لها والضعفاء والمساكين.[1]

فعندما رجع الوفد الى المشرق أخبروا إخوانهم بما رأوا، مما أدهش عقولهم وحير أفكارهم من زهد الإمام وإستقامته وعدله.[2] حتى ولو كان على فراش الموت، فإن زهده جعله يمارس سياسة دولته، على كل مقاييسها الدينية فلما أحس عبد الرحمن بن رستم بدنو أجله، إفتدى بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، إختار سبعاً من خيرة رجال دولته ممن يتوسم فيهم الزهد والصلاح، أي أن عبد الرحمن مارس سلطانه حسب أصول الشورى.

وكذلك عبد الوهاب اتبع أبيه في ممارسة سياسة الدولة، وهو زاهد مما ساعده على توطيد دعائمه رغم كل العواصف التي كانت تحدق بها، والمهم من كل ذلك أن عبد الرحمن إستفاد من رصيد والده الضخم في الزهد والعدالة وحسن السيرة. [3]

فقام بالعدل أحسن قيام وأجرى الأمور على أحمد وجه وأتقن النظام فظهر ما إنطوت عليه خلقه الكريمة. وهكذا كان على ماثلة أبيه حيث أنه سار سيرة حسنة في الأمة لزهده وورعه، فعبد الوهاب رحمه الله لما ولى المسلمون إستعمل على ولايته أهل الورع والزهد.[4]

ولم يكن يفرض عليهم ما لا يرضونه، فقد سار فيهم سيرة حسنة، جعلته يستطيع أن يسموا بدولته، ليماثل دولة أبيه، فقد أرسل الإمام بدوره الى قادة أهل الدعوة، يطلب إليهم ترشيح من يرضون عنه من

[1] علي دبوز، المرجع السابق، ص 508.
[2] إبن الصغير، المصدر السابق، ص 44.
[3] نفسه، ص 49.
[4] علي دبوز، المرجع السابق، ص 509.

أفاضلهم وأولادهم بإدارة أمور المسلمين.[1] فأحسن ما يكون أقل منه زهداً فيبعث في أمور الدولة، وفي عهده الذي دام سبعاً وثلاثين سنة، عرف الرستميون، قيمة مجدهم الحضاري في الداخل والخارج.[2]

فإتبع سيرة أبيه في إستعمال الشورى بين المسلمين، فإتبع وأصاب في ذلك، وكما سار الإبن على سيرة أبيه فقد جاء من أولاده من يسير على خطاه، ثم إن الإمام أفلح رحمه الله تمكن من إمامته وإستقامت به ولم يبق في أيامه بعد حلف منازع أو طالع.[3]

وقد بويع الإمام أفلح بعد وفاه والده عبد الوهاب، وإتبع نهجه في تسهيل شؤون البلاد وعدل بين الرعية بالحق وكان تقيا وورعا، مما دفع الإباضيين في المجتمع الرستمي الى التمسك به إماما وحاكما عليهم، عنى الإمام أفلح بن عبد الوهاب بنشر الأمن والسلم في ربوع الدولة، وتطورت الحضارة الإباضية الرسمية في عهده، ووصلت الى ذروتها من العزم والتقدم.[4]

فقد كان الإمام أفلح زاهدا ورعا صالحا، مما مكنه ذلك أن يدير دولته على شاكلة اباه آبائه، فكان تأثير زهده أمرا واضحا وإيجابيا على سياسة الدولة، فسلك فيها كلما تقضي به الشريعة، وتسمح به مبادئ زهده وتقشفه وعفته وأمانته وعدله.[5]

فعدل الإمام أفلح في أحكامه لا يحابي أحد ولو كان أخاه أو أباه أو صهره أو أحب حبيب إليه، وكان ولائه وقضائه على حكمه وعدله بما أنزل الله انزل الله ومساواته بين المتخاصمين في المسائل. [6]

فقد بلغت الدولة الرستمية في عهده من الرقي مبلغا كبيرا ووصلت الى أوج إزدهارها فسياسته كانت نابعة من شخصيته الزاهدة الطيبة المتواضعة، مما جعل الكل يحترمه ويكون في طاعته فيسهل عليه بذلك إدارة البلاد.[7] فقد كانت شخصيته العظيمة قد برزت وأشرقت واعرف الناس صفاته الكريمة وذاقوا حلاوة عدله، وحسن سياسته لما خلف والده في السبع سنين التي غاب فيها عن المغرب الأوسط.[8]

---

[1] الباروني، المرجع السابق، ص 90.

[2] بحاز وآخرون، المرجع السابق، ج2، ص 128.

[3] علي دبوز، المرجع السابق، ص 510.

[4] الدرجيني، المصدر السابق، ص 35.

[5] علي دبوز، المرجع السابق، ص 512.

[6] بو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص 147.

[7] إبن الصغير، المصدر السابق، ص 46.

[8] نفسه، ص 46.

فاستطاع بحسن سياسته أن يكسب تأييد العامة، فرأوا من ورعه وحزمه وكفائته وكفاءته في السياسة ما جعل الخاصة والعامة تتمنى أن يكون هو إمامها بعد أبيه.

ولقد أدار أفلح الإمامة بذكاء كبير وسياسة متوازنة مع كل الأطياف، ومهارة وعدل ودعاء نصف قرن كامل، [1] ومن مظاهر الزهد التي برزت عند الأئمة لم كانوا يزهدون في الرئاسة، هذا هو يعقوب بن أفلح زاهدا لا يرغب في الرئاسة ولا يتلطف الإمامة، ولو كان محباً لها لقبلها. إلا أنه لم يجد بداً من قبولها، فكان أهل عصره يجللونه ويعرفون مقامه العظيم فقد زاوج بينها زهده وورعه وعمله في الإدارة، فكان نسيج وحده في قوه الإدارة والتحكم في النفس وفي كثرة العبادة والخشوع في الصلاة.[2]

فكان راغبا عنها ولما فرضوها عليه وقبلها أن يحكم فيها بكتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت الدولة الرستمية في عهده في قمة الإزدهار والأمان،[3] فالإمام يعقوب كان متحكما في إدارته كل التحكيم، وجعلها ممزوجة بين الزهد في الدنيا وإدارة الدولة فكانوا الأئمة يتعبدون في الليل، يمارسون مهامهم السياسية في النهار،[4]

وقد سار في المغرب الأوسط بسيرة الخلفاء الراشدين وسلك بالأمة مسلك المسلمين وأحيا من السير ما أميت.[5] فكان زاهدا لا يعمل لنفسه ويرى من أكبر حظوظه أن يخدم إخوانه هو ويجدي المسلمين وينال الحظوة عند الله هي ينفع عباده، والقيام بكل جهد بغية إسعاد رعيته.

فقال عنه ابن الصغير: " أين من يعقوب بن أفلح في فضله وعدله وإقامه حدود الله وإحياء دينه الإسلامي، وعظم أولياء الله مع زهد وتواضع.[6]

ومما سبق فالإمام يعقوب كان حريصا على نشر الأمن والسلام والعدل بين رعيته فكان ورعا تقيا، يملأ الدين إهابة وتفيض نفسه بخشية الله، وكان غيورا على الدين لا يرضى أن تحزم أحكامه وينتهك حماه

[1] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 106.
[2] علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 513.
[3] نفسه، ج3، ص 513.
[4] نفسه، ج3، ص 513.
[5] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 41.
[6] سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 13.

ويتعدى الناس حدوده. ففي فترة حكمه شهدت الدولة الرستمية إستقرارا سياسيا عاد عليها بالتطور والإزدهار في جميع جوانب الحياة خاصة الدينية والفكرية والاقتصادية

كان الإمام الزاهد الورع أبي اليقظان فكان أخوه في الحكم فلما قدم أبي اليقظان في الشهور الأولى من إمامته، وكان يعرف كفاءته ودينه وصفائه وزهده وعمله لله في حفظ الدولة الرستمية وإعلاء صرحها فألقى إليه بمقاليد الإمامة وترك له القيام بشؤون الدولة.[1]

فإنتعشت دولته وإزدهرت لحزمه وحنكته وزهده في الدنيا فلما ولي الإمامة تماسكت الدولة وإنتعشت، وتقوت وأوقف بحزمه وإخلاصه عوامل الهدم.[2]

وكان عادلا لا يخاف في الله لومة لائم يسعى لإرضاء الله ثم إرضاء رعيته، فكان حازما مخلصا حكيما ورعا يعمل لله فكان معه وتغلب على كل الصعوبات، وأطفأ النيران وطهر العاصمة وأعاد للدولة هدوئها وإستقرارها.[3]

وكان أبو اليقظان لما ولي الإمامة في سن الكهولة والنضوج، كان عمره حوالي الستين عاماً. وكان حازما مخلصا حكيما وورعا، يعمل لله فكان معه فتغلب على كل الصعوبات وأطفأ النيران وطهر العاصمة وأعاد للدولة هدوءها وإستقرارها ونفخ فيها روحه فتقوت.[4]

وكانت نواحي الدولة كلها ساكنة في هذه الفتنة التي نشبت في العاصمة، لم تشارك فيها ولم تسر إليها عداواها، الا محمد بن مسالة، فقاد الإمام أبي اليقظان العاصمة تيهرت الى الصلح والسكون.

كان الإمام أبو اليقظان أعظم سناد وأمتن عماد للدولة الرستمية التي يفجر أعدائها الملكيون العباسيون في داخلها ألغامهم الشديدة المدوية ليصدعوا بنيانها. ولما ولي أبو اليقظان الإمامة تماسكت الدولة وإنتعشت وتقوت وأوقف بحزمه وحنكته وإخلاصه عوامل الهدم التي تتسلط عليها وتسري فيها.[5]

[1] علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 514.
[2] نفسه، ج3، ص 514.
[3] ألفردبيل : المرجع السابق، ص 149.
[4] علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 516.
[5] نفسه، ج3، ص 516.

لقد كان الإمام أبو اليقظان مثل جده ورعا تقيا يراقب ربه في كل الأشياء ويذكر آخرته وفي كل الأمور. وكان عالما من كبار العلماء في عصره، وكان حازما كل الحزم، شجاعا حكيما ومتواضعا مخلصا يعمل لله ولصالح الدولة لا لنفسه متقشفا في عيشه.

لا يفتنه الزخرف ولا يلهيه عن الجد ما كانت ترفل فيه الدولة من حضارة راقية ونعيم، ويختال فيه زمانه من أبهة ويسار ومدينة. قال ابن الصغير: " لما مات أبو اليقظان فكل شيء وجده من عين في تركته سبعة عشر دينارا. [1]

وكان أبو اليقظان كجده عبد الرحمن قد أجمعت القلوب على حبه وإجلاله. فلم ينافسه منافس في الإمامة ولم يتمرد عليه أحد لكرهه له. أو للاستخفاف به.

قال ابن الصغير: " ومما يذكر عن أبي اليقظان من ورعه وتقشفه وعفته. [2]لقد تمكن الإمام أبي اليقظان من إرساء دعائم دولته بالعزم والحزم ساعده في ذلك شخصيته المتواضعة النزيهة الزاهدة التقية الورعة المصلحة لحال رعيته ودولته التي ذاع صيتها مغربا ومشرقا.

فكان الأئمة لا يعينون إلا من كان زاهدا وورعا ورأوا فيه الصلاح، فالإمام أفلح ولي عليهم العلامة الزاهد أبا ذر ابن وسيم النفوسي. وكان عفيف النفس لا تعلق له بالدنيا.[3] فاستطاع الأئمة الإباضينة بزهدهم وتعففهم عن المادة، أن يقوموا بمهامهم السياسية في أسمى أوجهها، والتي تقضي بالشريعة الإسلامية وأخلاقهم النابعة عن زهدهم. [4]

فكان الأئمة الرستميون عادلين حازمين مخلصين حاكمين ورعين يعملون لله فكان معهم وتغلبوا على كل الصعوبات، وأطفئوا النيران وفي أغلب فترات حكمهم وطهروا العاصمة تيهرت وأعادوا للدولة الرستمية هدوءها وإستقرارها في الكثير من المرات مما ساعد على إقامة علاقات داخلية وخارجية. دلت على قوة نظام هذه الدولة السياسي الداعم لحكمها الاباضي.

[1] سعد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 14.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 37.

[3] علي دبوز، المرجع السابق، ص 37.

[4] نفسه، ج3، ص 520.

ثانيا: الحياة الإجتماعية

ساهم الزهد في مناحي كثيره فكانت الحياة الإجتماعية من بينها، فقد نظم المجتمع ونقاه من كل الأخلاق السيئة والتي يمكن أن تسيء الى المجتمع التيهرتي وقد تولى هذه المهمة الأئمة.

وقد نظم الإمام عبد الرحمن بن رستم المجتمع بدولته وإستطاع أن يكفي كل حاجياته، حيث كان أصحاب شرطته والطائفون قائمون بما يجب حيث يأمر بإحصاء الفقراء والمساكين المحتاجين فإذا علم عددهم، أمر بجميع أموال الصدقة، فاشترى من أكسية وجبايا صوفا وفروا ثم يدفع في كل بيت بقدر ذلك.[1]

فلم يغفل عليه أي أحد من رعيته، فكان يرعى الفقراء والمساكين والمحتاجين بالإضافة إلى إشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو إمام عادل تولى رعاية المجتمع الرستمي على أكمل وجه.[2]

فالأئمة كان يشرفون على جميع مناحي الحياة الاجتماعية للجماعات الإباضية،[3]وغيرها من الأجناس الأخرى التي إمتزجت بالمجتمع التيهرتي، فكانوا يهتمون بكل حاجيات المجتمع كما إهتموا بتنظيمهم وإصلاح مفاسدهم ومحاربة البدع والضلال والخرافات. وكان لهم دور كبير في الحياة الاجتماعية، وساهموا إلى حد كبير كالأئمة وحكام بدرجة أولى في تقويم سلوكيات الإباضيين الرستميين خاصة وغيرهم عامة.[4]

حيث كان لا يدخل مجلسهم من كان سيئ السمعة، فإن طلع على صلاح أحواله أذن له في الدخول لا غير وإن طلع على نقيضه وأحواله ذميمة طرده لا غير.[5]

فكانوا يحبون في المجتمع كل السلوكات الحسنة وينهون عن كل السلوكات السيئة ومن أساء من المجتمع يعاقبونه أشد عقاب.[6] فهكذا كانوا يسعون لإصلاح المجتمع يتمتعون بسمات كثيرة تجعلهم قدوة للمجتمع فكانوا يجمعون كالأئمة بين الزهد في الدنيا وأيضا الإهتمام بشؤون المجتمع ورعايته.

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 10.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 34.

[4] الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 400.

[5] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 104.

[6] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 126.

فالزهد كان له تأثير كبير جداً على النمط الإجتماعي للمجتمع التيهرتي خاصه الاباضي الذي ظل متمسك بعادات وتقاليد تميزه على كل الأجناس الأخرى التي عاش في مدينة تاهرت. فهو مجتمع زاهد متقشف المبالغ في زهده وتقشفه. [1]

وقد روى أبو زكريا في هذا الشأن: "أن الإمام زار يوما منزل أحد الإباضيين وكان إسمه المهدي فلم يجد له فلم يجد به شيئا من الأثاث ولا حتى الفراش أو الغطاء الذي يقيه من البرد، ثم زار بعد ذلك دار ابن عم له فوجد بها من الأثاث والزرابي والفراش وأنواع المأكولات والمشروبات مايسر الأنفس ويلذ الأعين فالتفت الإمام الى المهدي وقال له: "يا مهدي لك الجنة".[2]

وبالنسبة للحياة الاجتماعية للمذاهب المختلفة في تاهرت، فتعتبر الإباضية أكثر المذاهب الخارجية إعتدالا وتسامحا وزهدا للأئمتها، ما جعل تيهرت تزخر بالمذاهب الإسلامية المختلفة تتعايش فيما بينها في سلام وأمن في بداية الأمر قبل تنشب بينها نار الفتن.[3]

ومما سبق نلاحظ أن الزهد ساهم بشكل واضح في نسج ملامح الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها، حيث أكد على أن الإباضية هي نواه المجتمع التاهرتي. ويبدو أن نمط العيش أثر في سلوكيات الأئمة والمجتمع الرسمي، وقلل من التعمق في فهمهم لأصول الشريعة.[4]

ويصف الإدريسي نزعه التدين عندهم مبنيا أن رجالهم ونسائهم ويتطهرون كل يوم عند كل صباح، وتوضئون لكل صلاة، وثياب الجنب لا يقربها الطاهر وثياب الطاهر لا يقربها الجنب، وهم مضيافون يطعمون الطعام لعابر السبيل، ويقدمونه للفقراء والمساكين، أمناء على أموال غيرهم، محافظين على أعراضهم كمحافظتهم على أعراض حرمهم عادلين في أحكامهم.[5]

لقد إنعكس زهد وتقوى وعادلة الأئمة على البنية الاجتماعية لتاهرت مما أحدث تغير كبير في المجتمع الإباضي لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة الأئمة وعدلهم في رعيتهم وأمانتهم على نفسهم ومالهم.

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج1، ص 238.

[2] أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ج1، ص 101.

[3] صالح محمد فياض أبو دياك: المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب الأوسط، ع 55-56، سنة 1996م، جامعة اليرموك، الأردن، ص 86.

[4] نفسه، ص 87.

[5] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 127.

وبالجملة فقد تظافر أبناء المجتمع الرستمي في مساعده بعضهم بعضا بما تقتضيه سنن الشريعة من التكافل الاجتماعي، فإلى جانب الخدمات التي يقدمها بيت المال للمستضعفين من الناس، كان أغنياء الناس يقدمون قسطا من أموالهم صدقة للفقراء والمساكين الى جانب الزكوات التي يقدمونها بمواعيدها بكل أمانة وإخلاص.[1] ويبدو أن إختلاط العناصر أو الأجناس المختلفة في المجتمع الرستمي ساعد بعضها بعضا في تغيير بعض الأنماط المعيشية لبعض الفئات من المجتمع.[2]

ومثلها نجم عن هذا الإختلاط من حسنات نجم عنه سيئات، فقد تفشت الرذيلة وكثرة الفسق وشرب الخمر وكثرة اللصوص وقطاع الطرق مما أثار حفيظة الفقهاء فثاروا على المناكر وحرضوا الأئمة على زوالها وإن بقي آثارها.[3]

ورغم ذلك فإن الطابع الديني الذي اصطبق به المجتمع الإباضي كان السمة البارزة فيها، فهنالك الحج الجماعي والرحلات العلمية والحركات التجارية الجماعية. [4]

فعامل الزهد كان له الأثر المهم في تماسك البنية الاجتماعية للإباضيين في تيهرت رغم الإختلاف المذهبي لمختلف الأجناس الموجودة داخل الدولة الرسمية، فحرية التسامح ساهمت مساهمة كبيرة في تمازج وتجانس أغلب هذه الفئات المختلفة رغم إنتماءاتها المذهبية والعرقية.

لقد قام الأئمة ورجال الحكم بجهود طيبة على مستوى الدولة وعلى مستوى المغرب الأوسط في تنشيط الحياة الاجتماعية من جميع الجوانب مما أدى الى التلاحق الحضاري والإنماء الفكري ما بين الرعية الإباضيين وغيرهم من الأجناس الأخرى، حتى إستطاعوا خلق مناخ ملائم بينهم مبني على الإعتدال والتسامح المذهبي. [5]رغم زهد الأئمة الرستميين الإباضيين، إلا أنهم عملوا على نشر ثقافة التعايش والتكافل الاجتماعي بين جميع أطياف المجتمع التيهارتي عبر قرن ونصف من الزمن.

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 50.

[2] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 243.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.

[4] علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 217.

[5] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجبل، بيروت، 1996م، ج2، ص 324.

ثالثا: الحياة الإقتصادية

توجهت أنظار الأئمة الرستميون منذ البداية للإهتمام بالزراعة بصفتها المقوم الأساسي للإقتصاد، وتجلى هذا الإهتمام بحسن الإختيار لموقع الحاضرة تيهرت.[1]

وقد وفق الإمام عبد الرحمن بن رستم بإختيار موقعها، حتى أصبحت عاصمة غنية بالأسواق والمنتوجات، وكان أهمها سوق المعصومة فكثرت الحركة الاقتصادية وإنتعشت بها مما أدى الى تنظيم الحياة فيها.[2]

وعني الرسميون بالاستفادة من المياه فشقوا القنوات ووزعوا جميع أنواع المحاصيل في سهول الحاضرة الى جانب غرس الأشجار وإقامة البساتين، معرفت المدينة عن المؤرخين ببلخ المغرب. [3]

أسهم الأئمة الإباضية إسهاما كبيرا في تحسين الوضع الاقتصادي لأهل المغرب الأوسط عامة والمجتمع الرستمي خاصة. لاعب الأئمة دوراً مباشراً في رواج حركة التجارة خاصة الذهب، ولابد أن المجتمع التيهرتي قد تأثر بصنيع أئمته فإتجه جله الى ممارسة التجارة، وأعتقد أن هذا الإهتمام بالتجارة بقي قائما الى اليوم في المجتمعات الإباضية. [4]

ولم تعرف الدولة الرستمية أياما صعبة بفعل السياسة الرشيدة التي إتبعها الأئمة منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم، ومن هذه السياسة في النظام الرقابة من خلال دور الحسبة والقضاء في إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[5] بفضل سياسات الأئمة أصبحت الدولة الرسمية وعاصمتها تيهرت مركزاً تجارياً وزراعياً ضخماً.

---

[1] أحمد شارف، أئمة وفقهاء الدولة الرستمية ودورهم في الحياة الاقتصادية للمغرب الأوسط (160 هـ-296هـ/ 777م-909م)، المجلد 07، ع 02، 2022، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص ص 60-71.

[2] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 139-140.

[3] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 139-138.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 51.

[5] نفسه، ص 52.

وشهد ابن الصغير لتيهرت وأئمتها قائلا: " قصدتها الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار.. ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا إستوطن معهم وإبتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه... وأمانة على نفسه وماله.[1]

وتمكن الأئمة من نشر الإستقرار والأمن الداخلي، ما شجع على ممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية خاصة التجارة فهي النشاط الأول الأنسب للبيئة والعقلية الرستمية.

ومن مظاهر الإهتمام والحرص على ضمان السير الحسن لعمليات التبادل التجاري عين الأئمة على السوق مشرفين بمثابة مراقبين ومحتسبين، يقومون بمراقبة السلع ومدى سلامتها والموازين ومدى دقتها وإجمالا فهم يقومون بكل ما تقتضيه أعمال الأمر بالمعروف والنهي على المنكر. [2]

ورغم الإختلاف المذهبي بين الإباضيين وغيرهم في تيهرت إلا أن الأئمة غلبوا مصالح البلاد والعباد على الإنتماء المذهبي، لكن السياسة الحكيمة للحكام أدت إلى تنشيط الحركة التجارية وشتى العمليات خاصه البناء والحرف والزراعة.[3]

وقد ساعد موقع عاصمة الدولة الرستمية من السيطرة على سلسلة من الطرق التجارية التي تؤدي الى مختلف الإتجاهات، وبالتالي جعلها مركزاً هاماً لمدة قرن ونصف تقريبا.[4]

إن السلطة هي التي تعمل على بناء حضاراتها وهي كذلك التي تعمل على دفع عجلة النشاطات الاقتصادية وهي التي توفر الأمن الذي يسمح بإستقرار النخب المهنية والتجارية.[5]

فقد كانت الدولة الرستمية تمهد لتجارها الطرق وتحرسهم في السبل وتقيم لهم تقيم لهم الرباطات والمنازل في مراحلهم وتحفر لهم الآبار وتبعث معهم الجند ليجتازوا بهم المراحل المخوفة وترعاهم في الصحراء الكبرى، كانت تنفخ في طموح التجار وتحثهم على توسيع التجارة وإكثار القوافل.[6]

---

[1] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 203.

[2] إبن خلدون، المصدر السابق، العبر، ج2، ص 146.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 49.

[4] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 204.

[5] نفسه، ص 204.

[6] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 205.

يقول ابن الصغير: " إذا كان آخر النهار أتى أبو اليقظان، فإن وجده جالسا حرمته إقرا على الأمير السلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة وأمست هادئة، وإذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة حتى أقصاها ويحكم في الأمر الضروري ويأمرهم بالمعروف. [1]

ومما ذكرناه سابقا فالدولة الرستمية بفضل سياسة أئمتها الزاهدين والعادلة شهدت إزدهارا إقتصاديا كبيرا بسبب ما إتسمت به من سياسة التسامح مع أعدائها السياسيين والمذهبيين وترحيبها بالغرباء الذين وفدوا عليها من كل مكان وإستقروا فيها.

وبالجملة فإن الرخاء الإقتصادي إنعكس على تقدم العمران في الدوله وخاصة في الحاضرة تيهرت[2]وعرف المجتمع الرستمي بكده ونشاطه وحسن تقواه والتزامه بتطبيق أوامر الشريعة، فكان الأغنياء من أبناء المجتمع يدفعون زكاتهم الى بيت المال، وكان عمال النواحي وجباة المال يوزعون هذه الزكاة على فقراء الناحية التي يأخذونها من أغنياهم.[3]

وينوه ابن الصغير في حسن التزامهم بدفع الزكاة وتوزيعها فيقول: " يخرج أهل الصدقات أواني الطعام، ويأتون أهل النعم فيقبضون الواجب ولا يظلمون ولايظلمون..." [4]

فكان الطعام يدفع للفقراء والشاه والبعير تباع، ويدفع منها عطاء العمال وما بقي يوزع على الفقراء فيخصون من في البلد ومن حولها، ويحصى ما في الأمراء من الطعام ويشترى من باقي الصدقة أكسية صوف، وجباب، وفراء، وزيت، ويدفع لأهل كل بيت بقدر ذلك.[5]وحرص الأئمة على إزدهار التجارة بتأمين السبل لحماية الأرواح والأموال، فوضعوا له الحراس وكان بعض أولادهم يرافقون القوافل لحمايتها.

فقد عين الإمام أفلح إبنه أبا حاتم لحراسة القوافل الآتية من المشرق والمحملة بالبضائع والذهب خوفا من الإعتداء عليها من قبل سفهاء زناتة الضاربين حول طرقها التجارية.[6]

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص50.
[2] الشماخي، المصدر السابق، ص 176.
[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 44.
[4] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 252.
[5] نفسه، ص 252.
[6] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 254.

ومارس الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم التجارة وكان من كبار الأغنياء في الدولة، إضافة الى إشتغال أفلح بن عبد الوهاب وأبي اليقظان محمد بن أفلح وأبي حاتم يوسف، بممارسه التجارة الى جانب التجارة الى جانب التجار من أبناء الرعية.[1]

إلتزم الرستميون حكاما ورعية بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية في معاملاتهم التجارية، فكانوا الى جانب ممارستهم للتجارة يقومون بنشر العقيدة الإسلامية في بلدان الممالك السوداني وخاصة الوثنية منها.

رابعا: الحياة الفكرية

ينبغي أن تذكر أن أئمة الدولة الرستمية في تاهرت الذين إستهان أكثرهم تماما بشؤون الحياة الدنيا والذين كان همهم الوحيد فيها الظفر برضا ربهم، كانوا معينين عناية كبيره بالعلوم الدينية وكان أغلب العلماء الذين توفروا على دراستها عاشوا عيشة الورع والزهد والتقشف منهمكين ليل نهار في العبادة.

إرتبطت الحياة الفكرية في عصر بني رستم ارتباطا كبيرا بالمذهب الاباضي إذ أوفد داعية الإباضية سلمة بن سعد أربعة من مقتني أفكاره وأطلق عليهم حملة العلم الى البصرة لتلقي العلم على يد داعية الإباضية الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وبعد عودتهم الى بلاد المغرب أخذوا في نشر ثقافة المذهب الإباضي وذلك في حلقاتهم.[2]

إلا أنه وإن طغت الدولة الاباضية على الحياة الفكرية في بلاد المغرب الاوسط وخلقت مجالا عظيما للتنافس بين إتباع المذهب وغيره من المذاهب والفرق التي كانت تجد مجالا لنشر أفكارها. [3]

لا شك أن المجهودات التي بذلها الأئمة الرستميون في سبيل تنشيط الحركة الفكرية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد والدور العلمية وجلب الكتب من المشرق وإهتماماتهم بالعلم وأهله كان له أثره الكبير في تفعيل المجال العلمي.[4]

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 45.
[2] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 144.
[3] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 266.
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 39.

وهذا لا يدهشنا كثيرا إذا ما علمنا أن من بين الشروط التي تؤخذ بعين الإعتبار عند إختيار الإمام ومبايعته أن يكون عالما ورعا، وهذا ما ميز حقيقة عند أغلب الأئمة الرستميين الذين تداولوا على العرش ولاسيما الأوائل منهم.

فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان من حملة العلم الذين أخذوا العلم عن شيخ الإباضية الثاني في البصرة ابي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي أجاز لعبد الرحمن الإجتهاد دون غيره ممن كانوا معه.[1]

ولكن لم يكن ابن الصغير يشير الى كتاب قام بتأليفه الإمام الرسمي الأول، إلا أن المصادر الإباضية تنسب إليه تصنيفين أحدهما في التفسير والثاني يشمل خطبة.[2]

وقد سار الامام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن على خطى أبيه فكان عالما زاهدا وورعا، وينسب اليه ابن الصغير كتابا بعنوان مسائل نفوسة الجبل، حيث كتبت اليه نفوسة في مسائل أشكلت عليها فأجابها،[3]وكان هذا الكتاب مشهورا عند الإباضية متداولاً بينهم، وكان شغف عبد الوهاب كبيرا بالعلم.[4] والإستزادة منه الى درجة أنه صرف مبلغا عظيما يقدر حسب أبي زكريا بألف دينار في سبيل جلب الكتب من المشرق،[5]وتشير المصادر الإباضية الى أن الامام الثالث أفلح بن عبد الوهاب، كان قبل توليه العرش الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه والكلام واللغة.[6]

فيبدو أن الأئمة لم يكن لهم ما يمنعهم من تأدية عبادتهم التي يقومون بها والتي تفرضها طبيعة شخصيتهم الزاهدة من القيام في بمهمتهم العلمية أيضا، فكان معظمهم لهم معارف في علوم شتى. وقد سار درب الأئمة السابقين الإمام اليقظان بن أفلح الذي تنسب اليه المصادر الإباضية كتابا في الاستطاعة يقع في أربعين مجلداً،[7]

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 471.
[2] الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ج2، ص 315.
[3] أبو زكريا بن أبي بكر، المصدر السابق، ص 102.
[4] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 309.
[5] نفسه، ص 309.
[6] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 102.
[7] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 57.

ولكنهم لم يصل إلينا، ولعل ما نقله ابن الصغير عن هذا الإمام دليل واضح على إهتمامه البالغ بالعلم والعلماء فيقول: " أن أبا اليقظان بن أفلح ضرب سرادقه مره خارج المدينة فلما علم الناس بذلك خرج اليه الفقهاء والقراء وضربوا أبنيتهم حول سرادقة.[1]

إن هذا الجو العلم السائد في الأسرة الرستمية الحاكمة لابد أن يكون له تجاوبا من قبل أفراد المجتمع فبرز علماء أجلاء في مختلف مجالات العلوم النقلية والعقلية، بفضل ما قام به الأئمة الزاهدين من جهد عظيم لنهوض بالحياة الفكرية في تيهرت فكانت المساجد عامرة بمجالس الذكر والوعظ وإلقاء الدروس وحلقات العلم المختلفة وعقد المناظرات بين مختلف المذاهب.

لقد عمل الأئمة الرستميين على تفعيل الجو الثقافي بإثراء مختلف العلوم والمعارف وتنسب المصادر الإباضية كما ذكرنا سابقا لعبد الرحمن بن رستم تأليفا في علم التفسير، كان متداولا في قلعه بني حماد وقد تنافس على إقتنائه الإباضية من الوهبية والنكارية.[2]

ولكن يبقى هذا الكتاب الإباضي إلى حد الساعة من المصادر المفقودة، ويعد كتاب هود بن محكم الهواري الكتاب الإباضي الوحيد الذي وصل الينا في علم التفسير والذي يعود الى القرن الثالث الهجري وقام شريفي بلحاج بتحقيقه.[3] بالنسبة للحديث يبدو أن الإباضية لم يعطوا إهتماماً كبيرا لهذا العلم[4]

لقد كان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل تيهرت حسبما أشار الى ذلك ابن الصغير في قوله: " ومن البلد من فقهاء الإباضية وغيرهم لم يطالب بعضهم بعضاً ولا سعى بعضهم ببعض... الى أن الفقهاء تناحبت المسائل فيهم". [5]

فذلك التنافس كان على شكل مناظرات بين الإباضية والمالكية والحنفية والمعتزلة والصفرية، ولا شك أن هذا الجو التنافسي كان له أثره في توجيه إهتمام العديد من العلماء الى هذا العلم فبرز منهم الكثير.

[1] نفسه، ص 57.

[2] بوزياني الدراجي، دول الخوارج العلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 111.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 71.

[4] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص 65.

[5] الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 167.

لقد كان من بين المهتمين بالفقه الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي ألف كتابا سماه مسائل نفوسة يجيب فيه على أسئلة النفوسيين التي جاءت في حوالي ثلاثمائة سؤال وقد كان هذا الكتاب مشهورا لدى الإباضيين متداولا بينهم.[1]

وعلى نفس المنهج ألف الامام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات الذي يجيب فيه كذلك على أسئلة فقهية وما زال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشتمل ثمانين ورقة ويحتاج الى تحقيق، وبفضل ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية إستطاع التعرف على دور الأئمة في تنشيط الحياة الفكرية.

يبدو أن مجال الأدب العربي لم يحظى بالإهتمام مقارنة بالعلوم الدينية وربما يعود السبب الى توجيه الأئمة الرستميين نحو تشجيع العلوم الدينية على حساب العلوم الأخرى بإستثناء الإمام أبي بكر بن أفلح الذي نقل عنه كان محباً للآداب والأشعار، [2] كما أن للإمام أفلح بن عبد الوهاب مجموعة من الرسائل التي إمتازت بإنجاز العبارة وصحة الألفاظ والتسلسل المنطقي وتكشف عن مقدرة الأئمة البلاغية.[3]

ومن بين ما وصل الينا من تراث الدولة الرستمية الثقافي قصيده للإمام أفلح بن عبد الوهاب تقع في أربعة وأربعين بيتا يمدح فيها العلم وأهله ويحث على طلبه فيقول في مطلعها:[4]

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم رواحا وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذلك أوتارا

ثم يقول:

أكرم بهم من ذوي الفضل المبين لهم سر كسى مظلمات الأرض أنوارً

ما إرتاب من فضلهم أولوا العقول وهم إرث البنوءة في أيديهم صارا

ويقول كذلك:

أشدد الى العلم رحلا فوق راحلة وصل لي الى العلم في الآفاق أسفارا

[1] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 574.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 63.

[3] الباروني، المرجع السابق، ج2، ص 196.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص ص 262-267.

واصبر دلج الأعناق معتسفا مهمامه الارض أحزانا وأقطارا

حتى تزور رجالا في رحالهم فضلا فأكرم بأهل العلم او زوارا[1]

ويعد أبي بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التيهرتي من أعظم شعراء الدولة الرستمية ولد بتيهرت سنه 200 هجري وله قصائد في الزهد والمواعظ ومن ذلك ما روي عنه ويقول عن الموت.

كان لكان لرعاية الأئمة الرستميين وحبهم للعلم أثره في نشر الثقافة وإنتعاش الفكر في إمارتهم، [2]وقد فتح الرستميون المجال الواسع أمام حرية الفكر فلم يضايقوا أحد، ولعل ذلك كان سببا في قدوم مختلف الأجناس والمذاهب الى تاهرت، فالحوار المذهبي كان عاملا رئيسيا في التبادل الثقافي بين الرستميين وباقي حواضر المغرب الإسلامي.

شارك الأئمة العلماء مشاركة فعالة في الحركة العلمية، فكانوا يقومون بالتدريس في جامع تاهرت وجامع جبل نفوسة،[3] حيث أشارت بعض المصادر[4] الى أن الامام عبد الوهاب بن رستم كان من أعلم علماء الإباضية في وقته، أقام في منطقة جبل نفوسة مدة سبع سنوات يلقي الدروس الدينية وبخاصة ما تعلق منها من بأحكام الصلاة. [5]

أما الإمام ابو بكر بن أفلح (258-261هـ/ 871-874م) فقد ذكره ابن الصغير بقوله: كان يحب الآداب والاشعار واخبار الماضيين...وكان يحب اللذات ويميل الى الشهوات.[6]

وهذا ما دفع بعض المؤرخين الى الاعتقاد أن بلاطه كان منزل الادباء والشعراء شجعهم باهتمامه بانتاجهم ويرعاهم بصلاتهم ويستانسو كذلك بالتاريخ ورواة أخباره، أي أن ثقافته ليست دينية بحتة. [7]

[1] الباروني، المرجع السابق، ص ص 90-97.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 117.

[3] عبد الله شريط ومجمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، ط1، 1965، ص 63.

[4] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 392.

[5] نفسه، ص 392.

[6] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 392.

[7] الشماخي، المصدر السابق، ص 104.

وعلى العموم فان ثقافة الرستميين قد نوه بها أصحاب الطبقات والسير الإباضية وغير الإباضية، على الدور الذي لعبه الأئمة في ازدهار الحركة الفكرية لما قاموا به من تدريس وتأليف، فقد ساهموا في بناء القاعدة الثقافية داخل الإمارة الرستمية وبخاصة تيهرت.

كقول الدرجيني: "وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها من علم التفسير والحديث والفرائض والأصول والفروع وعلم اللسان وعلم النجوم.[1] ويذكر أبو زكريا أن أحد الرستميين قال: " معاذ الله ان تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة بيت فيها القمر.[2]

وبالنسبة للإمام أبو اليقظان عن محمد بن أفلح، فقد جمع ما بين العلم والعمل،فبلغ في فنون العلم الكثير حتى أن نفوسها كانت لا تعدل أيامه و سيرته إلا أيام جده عبد الرحمن وسيرته، وذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفه يصلون وطائفة يقرأون الكتاب، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم...[3]

وكان الإمام كأسلافه شغوفا بإلقاء الدروس لما له من رصيد علمي واسع، ومن الذين تتلمذو على يده ابن الصغير المالكي، صاحب كتاب " أخبار الأئمة الرستميين الذي يذكر ذلك عن نفسه بقوله:" قد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي، ورأيته ثانيا في مصلى الجنائز فرمت له وسادة من أدم فجلس عليها.[4]

وكان لأبي اليقظان كتاب في الرد على أهل الخلاف.[5] هذا يعني أن أئمة الرستميين لم يكونوا متفقهين في أصول المذهب فقط، بل كانوا على دراية تامة بالعلوم الأخرى النافعة لأمور الحكم والدين. فزهدهم وتقشفهم ساعدهم كثيرا في تطوير العلوم وترقيتها حتى وصلت الحركة الفكرية الى أوجها فقد كان للرستميين مكتبات تعرف بالمعصومة حوت آلاف الكتب على إختلاف فنونها.

حرص الأئمة بتاهرت على تزودهم بالعلم من خلال بذل الاموال في اقتناء الكتب وقراءتها كحال الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن، الذي كان من عادته إذا فرغ من الصلاة أن يأخذ كتابا فيقرأ فيه

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 120.
[2] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 104.
[3] عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 237.
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 35.
[5] نفسه، ص 35.

[1]وأنه بعث ألف دينار الى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا، فاقتضى نظرهم أن يشتروها ورقا وتطوعوا بالمداد وأجرة الناسخ والمفسرين حتى أكمل ديوانا عظيما، فبعثوا به اليه فقرأه ثم قال: " الحمد لله إذ ليست بها مسألة غريبة عني إلا مسألتين ولو سألت عنه عنها لأجبت قياسا على نظائرها ووافقت الصواب.[2]مما يعكس إتساع معرفته وولعه الشديد بالكتب.

إن طبيعة تعلق الأئمة بالزهد وتقشفهم في الحياة، جعل الظاهرة تنعكس على إهتماماتهم بالحياة الفكرية وكرسوا حياتهم للعبادة والعلم، فالعلم فيه من الإرتباط بالدين الشيء الكثير فقد حث الله عز وجل على العلم، وكذا رسول صلى الله عليه وسلم فكانوا بذلك يكرسون بعلمهم حياتهم الزهدية.

[1] جودت عيد الكريم، المرجع السابق، ص 129.

[2] بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 394.

خـــــاتمـــــة

لا تعد خاتمة هذا العمل نهاية لفكرته، بل ربما هي القاعدة الصلبة لأعمال وبحوث أخرى لما تحتويه من مجموع الإستنتاجات المتوصل إليها.

– إن زهد إباضية المغرب الأوسط ما هو إلا إمتداد ونتاجاً لزهد إباضية المشرق الأوائل والذين كان زهدهم شبيه بزهد ومعيشة ونمط عبادة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الإعتكاف في تأدية العبادات وبساطة العيش والتقشف الروحي والإبتعاد عن كل ملذات وشهوات الدنيا الزائلة طمعاً في الآخرة الدائمة الباقية.

– عرف الزهد عند إباضية المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي بعدة مظاهر فقد إمتازوا بالدفاع عن الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع والضلال.

– كذلك إمتاز زهد الرستميون بعدة سمات من الناحية الروحية العقدية فتعددت العبادات وتنوعت بمجالس الذكر وقراءة القرآن وقيام الليل وتناول العلم وفنونه المختلفة خاصة الفقه.

– وأما عن زهدهم من الناحية المادية فإمتاز بالتقشف والإعراض عن الدنيا ومغرياتها، فلم تكن تغريهم الدنيا ولا زخرفها، كل ما كانوا يسعون إليه هو إرضاء الله عز وجل لنيل الدرجات العليا في الآخرة، فكانوا مجاهدين لأنفسهم يعيشون على بسيط العيش، ليسوا مغرمين بالمال ولا القصور وفي نفس الوقت ليسوا تاركين له، ثروتهم الحقيقية هي الورع والصلاح ومعاملة العدل والمساواة مع الآخر.

– وكان لزهد الإباضية بالمغرب الأوسط تأثيرات كثيرة على المجتمع التيهرتي في مختلف مناحي الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية.

– إستخدام الأئمة سياسة التوازن بفضل ما يتوسمون به من صفات نابعة عن زهدهم حيث إستطاعوا أن يديروا مناصبهم كأئمة وقضاة على أكمل وجه، مما حافظ على رعروشهم في ظل وجود العناصر المختلفة، فعرفوا بالعدل والتسامح حتى أصبح الإمام فيهم تضرب به الأمثال في عدله وورعه على شاكلة عبد الرحمن بن رستم، وأفلح بن يعقوب، وأبي اليقظان وغيرهم من الأئمة، حتى وصل صيتهم إلى كل كل الأقطار وأصبح كل واحد يتمنى أن يحكمه إمام عادل أمثال هؤلاء الأئمة، وكذلك كانوا زاهدين في الإمارة، ولا يسعون إلى الوصول إلى السلطة ولا يغرمون بها، وإذا أتتهم راغمة وإضظروا إلى قبولها، حكموا بما تنص به الشريعة الإسلامية، وحرصوا على تطبيق قوانينها برغم إختلاف توجههم المذهبي.

– حافظ الأئمة الرستميين بفضل زهدهم الشديد والمتوازن على مذهبهم وشرعية الإمامة وإستمرارها وفاعليتها في المجتمع التيهرتي.

– كذلك كان إنعكاس الزهد واضح على الحياة الاجتماعية وتمثل في إهتمام الأئمة بالرعية على الاهتمام، لخشيتهم من الله عز وجل.

– بفض شخصية الأئمة الورعة الزاهدة المتواضعة العادلة، كانت ظاهرة التباين المذهبي داخل كيان الدولة الرستمية، ظاهرة تنم عن تقبل الإختلاف في إطار المعرفة الدينية للآخر.

– عرف المجتمع الرستمي بحسن تقواه وإلتزامه، حيث تعتبر الإباضية نواة تكوينه من خلال نشر الإعتدال والتسامح بين جميع الأجناس الموجودة رغم إختلاف مذاهبهم، مما منح الأمان والإستقرار للوافدين للدولة الرستمية.

– رغم تمايز المجتمع التيهرتي إلا أن بفضل نظام الزهد السائد بينهم ظل التعايش حاضر بين الإمام والرعية، كمؤشر على حيوية إنفتاح البلاد الرستمي.

– عمل أئمة الدولة الرستمية من إنشائها على نشر النزعة الزهدية بين جميع طبقات المجتمع التيهرتي، لأنهم كانوا يهدفون في نفس الوقت إلى ترسيخ مبادئ الإباضية في أذهانهم.

– حرص الأئمة الزهاد وأعيان الأمة في إزالة المنكر وتشجيع الناس بإستمرار على العلم والعمل.

– مراقبة أحوال الرعية، ومساعدتهم في حل مشاكلهم والمساهمة في تلبية حاجيات أبناء المجتمع بما تقتضيه سنن الشريعة من تكافل إجتماعي، فأشاعوا الأئمة الزاهدين الأخلاق الحسنة النابعة من أخلاقهم والنهي عن كل سلوك سيْ يسيْ لهم وللدين والمجتمع.

– إفادتهم بمجالس الذكر في العلوم الدينية وكيفية تأدية العبادات والإجابة عن تساؤلاتهم وإفادتهم في شتى العلوم الأخرى.

– أما تأثير الزهد على الحياة الاقتصادية فقد كان له الأثر البالغ لفضل تميز شخصية الأئمة بالورع الشديد والتقشف في متاع الدنيا، لكن في نفس الوقت إستغلالهم لخيراتها كان في المعقول، مما عاد على المجتمع التيهرتي بالرخاء والإزدهار.

– إنعكاس نمط الزهد للأئمة والرعية على معاملاتهم الاقتصادية خاصة التجارة حيث برعوا فيها ومازالوا إلى يومنا هذا يتقنون هذا الفن من فنون الحياة الاقتصادية، فكان للتجارة الأثر الإيجابي على النشاط الكبير إقتصادياً للمجتمع الرستمي.

– عمل الأئمة على بناء حضارتهم من خلال دفع عجلة النشاطات الاقتصادية بفضل توفير الأمن الذي يسمح بإستقرار المهن المختلفة والتجارة.

– شجع الأئمة على التجارة شريطة إتباع الأحكام الشرعية وعدم إدخال الحرام فيها، كصدق وعدم الغش ومنع الإحتكار وغيرها من الأحكام، أما تأثير حركة الزهد على الحياة الفكرية، فقد لأدى إلى تنشيط الفكر لإيمان الزهاد الأئمة بأن العلم هو رسالة حث عليها الله تعالى، حيث بذل الأئمة الرستميون جهوداً طيبة في نشر قاعدة زهدية في أرجاء الدولة الرستمية خاصة والمغرب الأوسط عامة عن طريق حلقات التدريس وبناء المساجد والدور العلمية وجلب الكتب وإقامة المناظرات العلمية والدينية بين الفرق الإسلامية المتعددة.

– عمل الأئمة على الاهتمام بالعلم وتشجيع أفراد المجتمع التيهرتي في الإقبال عليه وحرصوا على دعم والإنفاق على طلبة العلم في رحلاتهم.

– إثراء المكتبات بمختلف الكتب المجلوبة من المشرق والأندلس وتزويدهم لمكتبة المعصومة برصيدهم المؤلفة من الكتب في شتى العلوم خاصة الفقه وتفسير القرآن.

وفي الختام فإني لا أرى نفسي قد إستوفيت الموضوع حقه من البحث والتدقيق، لكن ذلك لا يمنع من الإحسان بمساهمتي الصادقة في إنارة جانب مهم من تاريخ المغرب الأوسط عامة، وتاريخ إباضية الدولة الرستمية خاصة، كل ما أتمناه هو أن تلقى هذه النتائج المتوصل إليها صدى، ولما لا تكون بداية أعمال جديدة تفيد وتثري تاريخ المغرب الأوسط.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة الدولة الرستمية في المغرب الأوسط

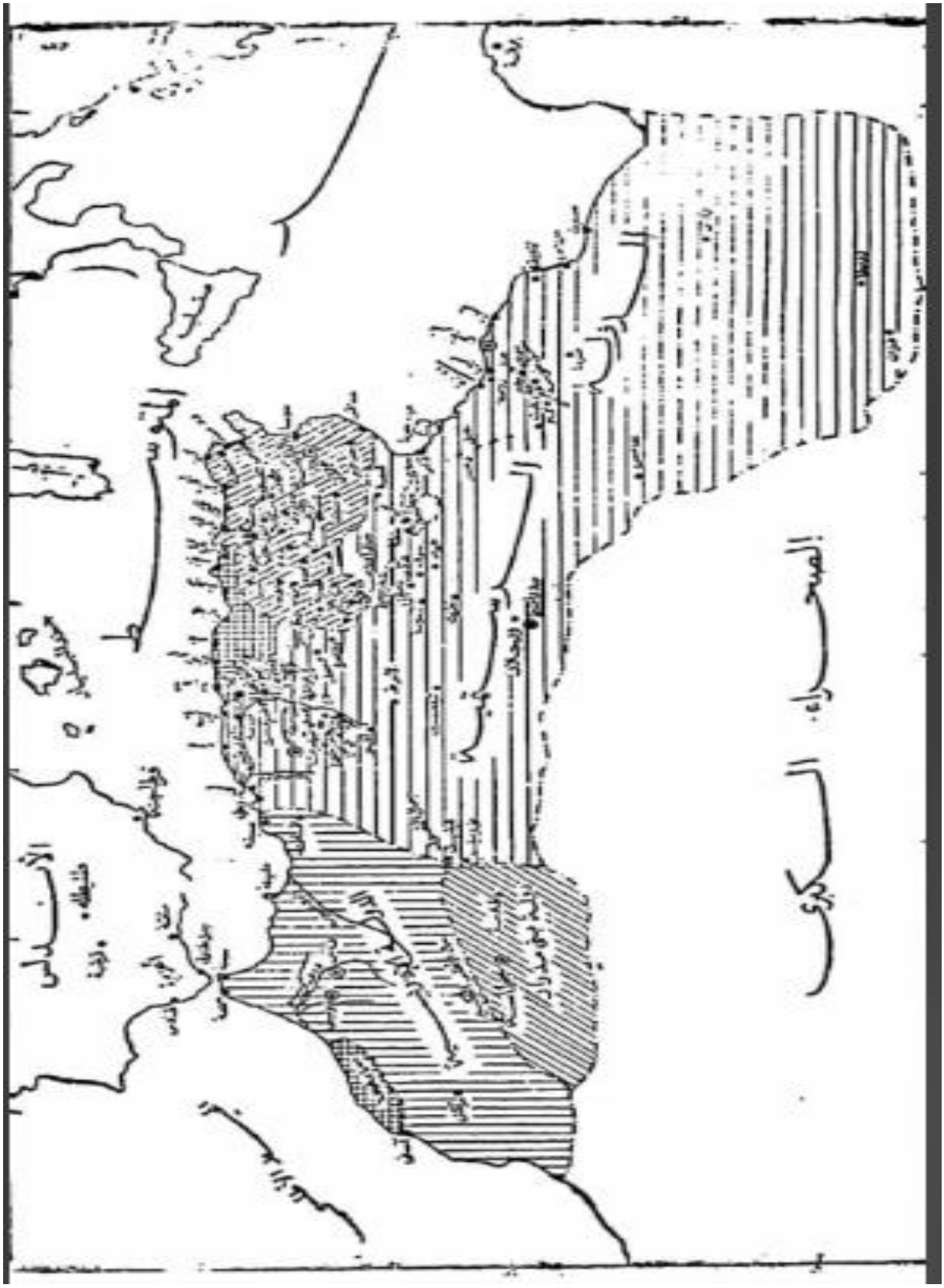

المصدر: عيسى الحريري: الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، ص 250.

الملحق رقم 02: جدول أئمة الرستمية (160-296هـ/777-909م)

عبد الرحمان بن رستم الفارسي 160هـ_ 777م.
عبد الوهاب بن عبد الرحمان المعروف بعبد الوارث 171هـ_ 787م.
أفلح بن عبد الوهاب 190هـ_ 805م
أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب 240هـ_ 854م.
محمَّد أبو اليقظان 241هـ_ 855م.

المصدر: محمد بوركبة: الجزائر في عهد الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)، دار الكفاية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2019م، ص 135.

الملحق رقم 03: شخصية الأئمة الرستميين من خلال ابن الصغير

الأئمة الرستميين	طبيعة شخصيتهم
عبد الرحمان بن رستم	قوية، زاهدة، ورعة
عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم	قوية، سلطانية حازمة
أفلح بن عبد الوهاب	قوية، عادلة، مترفِّهة، وحازمة
أبو بكر محمد بن افلح	ضعيفة لاتليق بالإمامة
أبو اليقظان بن أفلح	قوية، تعلم الإدارة في بغداد
أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان	قوية، شاب يافع
يعقوب بن افلح	نزيهة، عفيفة، متواضعة

المصدر: من خلال ما جمع لأقوال ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين.

الملحق رقم 04: رسالتان من الإمام أفلح

رسالتان من الإمام أفلح إلى عماله يدعوهم إلى تقوى الله ولزوم طاعته

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

« من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد سلام عليك وإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأسأله أن يصلى على سيدنا محمد عبده ورسوله ﷺ وعلى آله – أما بعد – ألبسك الله عافيته فإنى أذكرك عظمة الله لا تنساها وفكر فى صغير خلقتك وفى عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر وأذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التى تكل الألسن عن وصفها فلو لم تكن كرامة تطلب النجاة من جهنم لكان فى ذلك ما ينبغى للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع اللذات . إلا أنى أقول لك أن الدواء لك فى هذا هو الاستغاثة إلى الله فى العصمة فمن أراد به الإحسان عصمه (أى حفظه من الاصرار على المعاصى ووفقه إلى التوبة) وجعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فاطلب الله وارغب إليه فى العصمة والتوفيق وأن يحول بينك وبين عدوك واعلم أنه لا شئ لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها . فأقبل واجتهد فى القبول إلى أن قال وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك وأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب فلعمرى أنه لكذلك ولكن ليس فى هذا إثما أسهم جعلها الله وأوقفها وهى وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهى إلا على قدر الاجتهاد

فاتق الله واجتهد جهدك فى توفير الحقوق وتوجيهها إلينا على هذا مضى من كان قبلك » (١) .

(ب)

« أما بعد عافانا الله وإياك عافية المتقين الذين أنعم الله عليهم بطاعته وهداهم إلى ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ، كتبت إليك ومن قبلى فى عافية والله لا شريك له أحببت أن أعلمك ذلك بالكتابة به إليك لتحمد الله على ذلك وتشكره كما هو أهله وأوصى نفسى وإياك بتقوى الله ولزوم طاعته والتوق على دينه والتوكل عليه وحده . لا شريك له فإنه عز وجل يقول ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا** ﴾ فالزم التقوى بنفسك وأشعرها قلبك واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور . والتقوى من الله بمكان عظيم والمتقون هم الفائزون خلصوا من هموم الدنيا وأشغالها ونجوا من عذاب الآخرة ونكالها . فمهدوا لأنفسكم وقدموا لمعادكم واعملوا عملا يسركم غداً مكانه فكأنى بكم وقد فارقتم الدنيا ولحقتم بالموتى وعليكم بالتمسك بما مضى عليه سلفكم الصالح أهل الفقه واليقين والبصيرة فى الدين نظروا إلى الآخرة بقلوبهم فهان عليهم فراق الدنيا وما فيها . فلا تغرنكم فإنها فانية زائلة فكأننا وإياكم قد فارقناها فوقفنا بين يدى الله تعالى فيجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى عصمنا الله وإياكم بالتقوى ورجعنا العمل بطاعته فإنه ولى ذلك ومنتهى الرغائب لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » (٢) .

المصدر: عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 251-252.

الملحق رقم 05: رسالة أبي اليقظان إلى رعاياه

رسالة أبى اليقظان إلى جميع رعيته

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

« من محمد بن أفلح إلى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين ، سلام عليكم وإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأسأله الصلاة على نبى الرحمة وهادى الأمة ﷺ – أما بعد – فإن أفضل ما يتواصى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح ، وعليكم معاشر المسلمين بالتهيّ للقدوم على الله والتأهب والاستعداد ليوم تشخص فيه الأبصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الولدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، واعلموا رحمكم الله أن أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوف منهم فرحم الله امرءا مسلما احتسب بنفسه وأرصدها لله فى طلب العلم والنقض على من حاد الله وعدل عن منهاج رسول الله ﷺ وضاد المحقين من عباده حتى تكون كلمة رسول الله هى العليا والباطل زهوقا ، وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضى من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم فاقتفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن منهاجهم ، وخالفوا أهلى البدع المضلة والأهواء المزلة ممن أراد أن يبدل دينكم ويلبسكم شيعا ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته فى قلوبهم فخدع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى عليه الأئمة الراشدون ، رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأضل كثيرا وضل عن سواء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله وبه نستعين وعليه نتوكل وما توفيقنا إلا بالله اهـ (1) .

المصدر: عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص253–254.

الملحق رقم 06: شعر الزهد والوعظ

في الزهد[1]:

روى أبو بكر بن اللباد عن بكر بن حماد هذه المقطوعة في التفكير في الموت والاعتبار بمصائر العباد:

زرنا منازل قوم لن يزورونا ... إنّا لفي غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكمُ ... حلّ الرحيل فما يرجو المقيمونا
الموت أجحف بالدنيا فخرّ بها ... وفعلنا فعل قوم يموتونا
فالآن فابكوا فقد حقّ البكاء لكم ... فالحاملون لعرش الله باكونا
ماذا عسى تنفع الدنيا مجمّعها ... لو كان جمّع فيها كنز قارونا

في الوعظ والتذكير:

ونقل هذه المقطوعة الباروني عن رياض النفوس لأبي بكر المالكي[2]:

قف بالقبور ناد الهامدين بها ... من أعظم بُليت فيها وأجساد
قوم تقطّعت الأسباب بينهم ... من الوصال وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا ... فلن يروحوا ولن يعدو لهم عاد
والله لو ردُّوا ولو نطقوا ... إذن لقالوا التقى من أفضل الزاد
فبرز القوم وامتدّت عساكرهم ... كيما يوافوا الميقات وميعاد
ما بالقلوب حياة عند غفلتها ... والله سبحانه منها بمرصاد
بينا ترى المرء في لهو وفي لعب ... حتى تراه على نعش وأعواد
هذي أبا مالك دنيا منغصّةٌ ... فيها مرارات أحشاء وأكباد

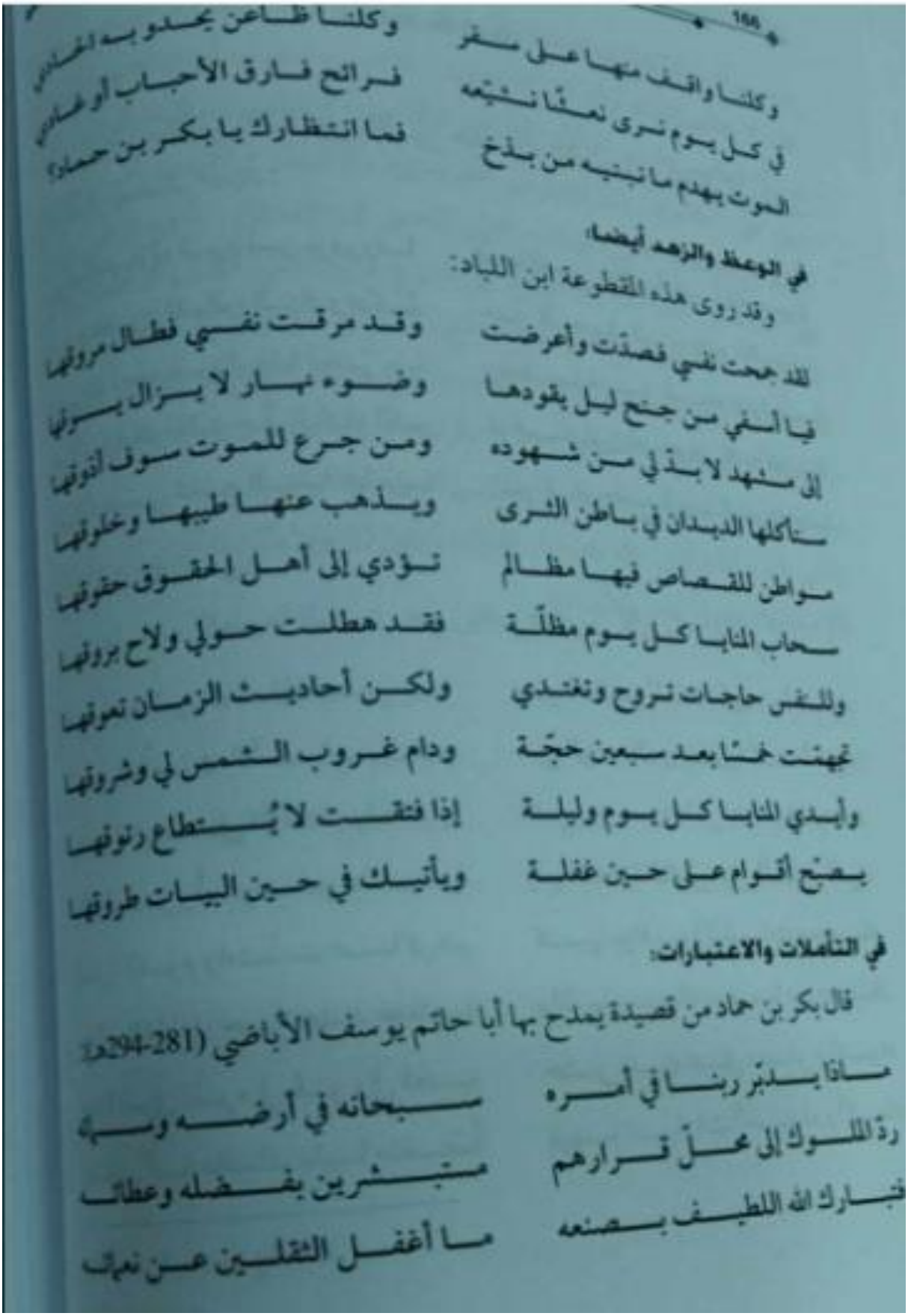

وكلنا واقف منها على سفر ... وكلنا ظاعن يحدو به الغادي
في كل يوم نرى نعشا نشيعه ... فرائح فارق الأحباب أو غادي
الموت يهدم ما تبنيه من بذخ ... فما انتظارك يا بكر بن حماد؟

في الوعظ والزهد أيضا:

وقد روى هذه المقطوعة ابن اللباد:

لله جحت نفسي فصدّت وأعرضت ... وقد مرقت نفسي فطال مروقها
فيا أسفي من جنح ليل يقودها ... وضوء نهار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لابدّ لي من شهوده ... ومن جرع للموت سوف أذوقها
سناكلها الديدان في باطن الثرى ... ويذهب عنها طيبها وخلوقها
سواطن للقصاص فيها مظالم ... تؤدي إلى أهل الحقوق حقوقها
سحاب المنايا كل يوم مظلّة ... فقد هطلت حولي ولاح بروقها
وللنفس حاجات تروح وتغتدي ... ولكن أحاديث الزمان تعوقها
تجهزت خمسا بعد سبعين حجّة ... ودام غروب الشمس لي وشروقها
وأبدي المنايا كل يوم وليلة ... إذا فتقت لا يُستطاع رتوقها
يصيح أقوام على حين غفلة ... ويأتيك في حين البيات طروقها

في التأملات والاعتبارات:

قال بكر بن حماد من قصيدة يمدح بها أبا حاتم يوسف الأباضي (281-294هـ):

ماذا يدبّر ربنا في أمره ... سبحانه في أرضه وسمائه
ردّ الملوك إلى محلّ قرارهم ... متبشرين بفضله وعطائه
فتبارك الله اللطيف بصنعه ... ما أغفل الثقلين عن نعمائه

المصدر: رابح بونار، المرجع السابق، ص165-166.

والعمل الصالح، وعليكم معاشر المسلمين بالتهيؤ للقدوم على الله والتأهب والاستعداد ليوم تشخص فيه الأبصار، وتتغير فيه الألوان، ويشيب فيه الولدان، ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ سورة الحج الآية 02.

واعلموا، رحمكم الله، أن أهل العلم بالله، القائمين بهذه الدعوة، قد انقرضوا وقلّت الخلوف منهم، فرحم الله امرءًا مسلمًا احتشب بنفسه، وأرصدها لله في طلب العلم والنقض على من ضادّ الله، وعدل عن منهاج رسول الله ﷺ، وضادّ المحقين من عباده حتى تكون كلمة رسول الله ﷺ هي العليا والباطل زهوقًا، وعليكم معاشر المسلمين بإتباع الماضين من أسلافكم، والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم، فاقتفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن مناهجهم، وخالفوا أهل البدع المضلة، والأهواء المزلة، ممن أراد أن يبدل دينكم، ويلبسكم شيعًا، ويلبّس عليكم أمركم، فمن اتبع هواه، واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن، فألبس على الضعفاء أمرهم، وزيّن بدعته في قلوبهم، فخدع من لا بصيرة له، ولا علم بما مضى عليه الأئمة الراشدون.. والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأضلّ كثيرا وضلّ عن سواء السبيل، وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله وبه نستعين وعليه نتوكل وما توفيقنا إلا بالله.

من خطبة التحكيم التي كان يخاطب بها بعض الأئمة الأباضيين بتيهرت:

الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونستهديه، ونستنصره، ونبرأ من الحول والقوة إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا، رضينا بحلال الله حلالا، وبحرامه حرامًا، لا نبتغي به بدلًا، ولا

المصدر: رابح بونار، المرجع السابق، ص 164.

الملحق رقم 07: مراتب تغيير المنكر

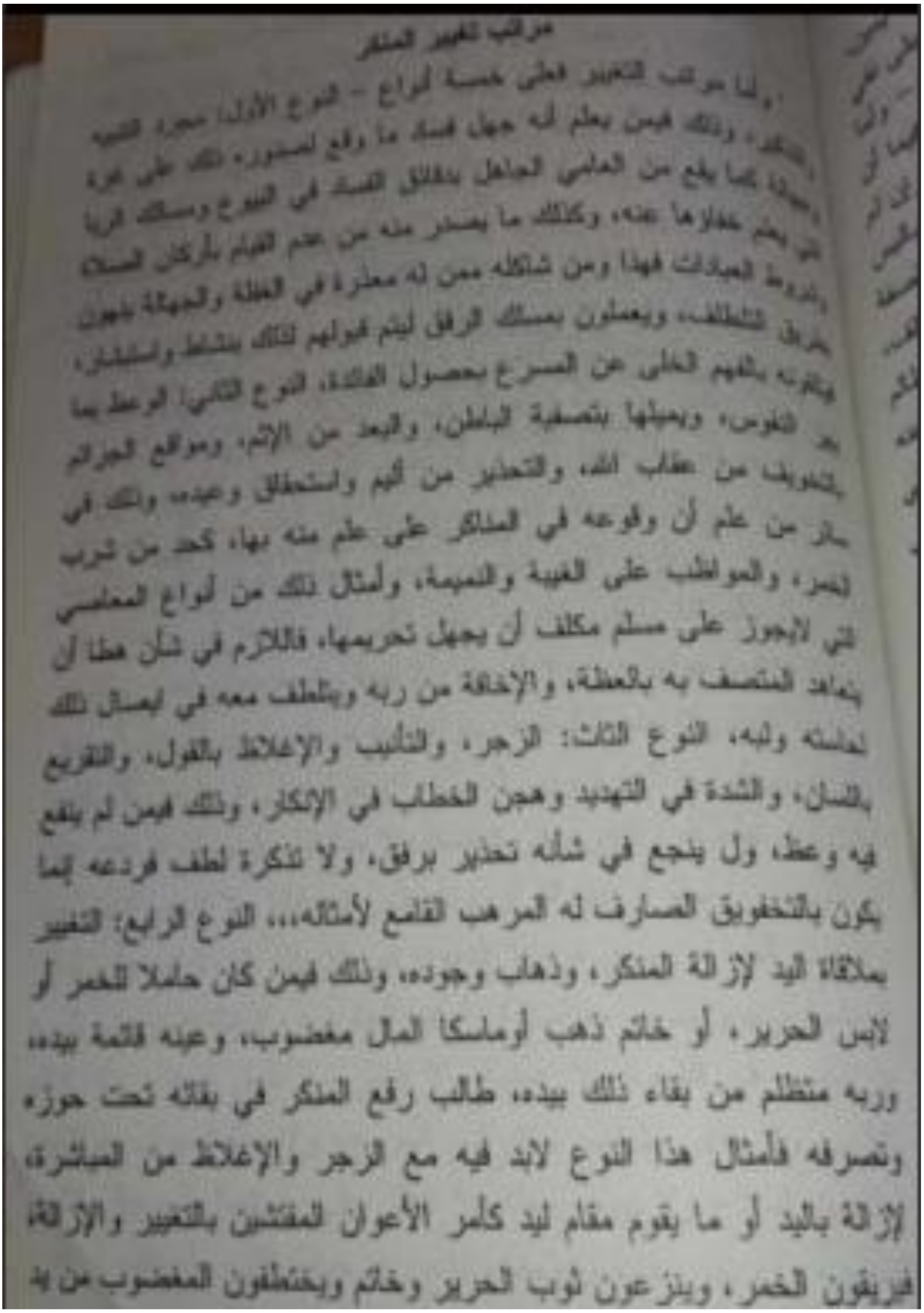

مراتب تغيير المنكر

...ولها مراتب التغيير فعلى خمسة أنواع - النوع الأول: مجرد التفهيم والتعريف، وذلك فيمن يعلم أنه جهل فساد ما وقع لمشوره، ذلك على غرة ...ومعرفة بما يقع من العامي الجاهل بدقائق الفساد في النوع ومسالك الربا التي يعلم خفاؤها عنه، وكذلك ما يصدر منه من عدم القيام بأركان الصلاة وشروط العبادات فهذا ومن شاكله ممن له معذرة في الغلظة والجهالة يأتون بالرفق والتلطف، ويعاملون بمسلك الرفق ليتم قبولهم لذلك بنشاط واستبشار، ويقابونه بتفهيم الخالي عن السرع بحصول الفائدة، النوع الثاني: الوعظ بما يرقق القلوب، ويحيلها بتصفية الباطن، والبعد من الإثم، ومواقع الجرائم بالتخويف من عقاب الله، والتحذير من أليم واستحقاق وعيده، وذلك في حق من علم أن وقوعه في المناكر على علم منه بها، كحد من شرب الخمر، والمواظب على الغيبة والنميمة، وأمثال ذلك من أنواع المعاصي التي لايجوز على مسلم مكلف أن يجهل تحريمها، فاللازم في شأن هذا أن يعاهد المتصف به بالعظة، والإخافة من ربه ويتلطف معه في إيصال ذلك لجلسته وأنيه، النوع الثالث: الزجر، والتأنيب والإغلاظ بالقول، والتقريع باللسان، والشدة في التهديد وهجن الخطاب في الإنكار، وذلك فيمن لم ينفع فيه وعظ، ول ينجع في شأنه تحذير برفق، ولا تذكرة لطف فردعه إنما يكون بالتخويق العنارف له المرهب القامع لأمثاله،، النوع الرابع: التغيير بملاقاة اليد لإزالة المنكر، وذهاب وجوده، وذلك فيمن كان حاملا للخمر أو لابس الحرير، أو خاتم ذهب أوماسكا المال مغصوب، وعينه قائمة بيده، وربه متظلم من بقاء ذلك بيده، طالب رفع المنكر في بقائه تحت حوزه وتصرفه فأمثال هذا النوع لابد فيه مع الزجر والإغلاظ من المباشرة، لإزالة باليد أو ما يقوم مقام ليد كأمر الأعوان المفتشين بالتغيير والإزالة، فيريقون الخمر، وينزعون ثوب الحرير وخاتم ويختطفون المغصوب من يد

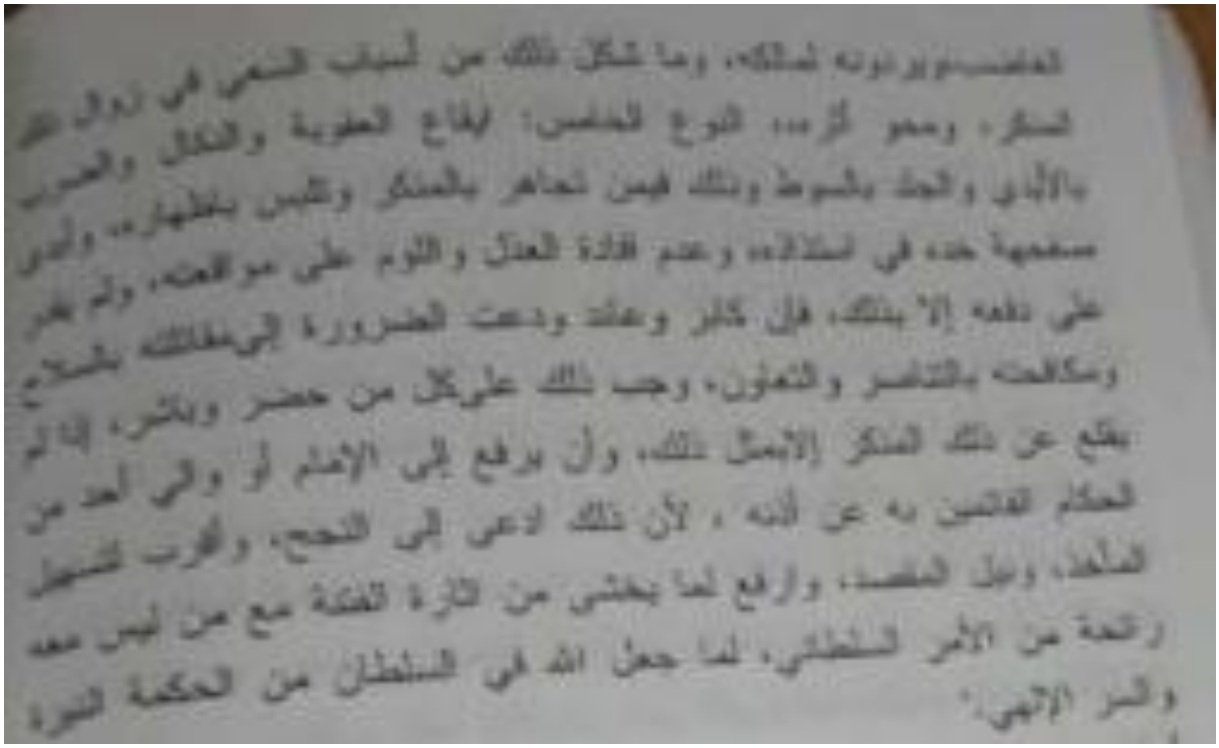

المصدر: رابح بونار، المرجع السابق، ص 215-216.

قـــــــائمـــة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **المصادر**

1. إبن صغير، أخبار الأئمة الرستميين: تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986.
2. إبن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/ 1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، بولاق، القاهرة، 1957.
3. إبن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/ 1406م): المقدمة، ج2، تح وتع: عبد الدرويش، دار البلخي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م.
4. إبن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، حققه وراجعه ج س كولان زيلفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980.
5. إبن قدامة المقدسي (ت 620هـ/ 1223م): مختصر منهج القاصدين، تح، محمد عيسى سليمان وعلي عبد الحميد أبو الخير، دمشق، دار الخبر، 1998.
6. إبن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711 هـ): لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج3.
7. أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1394هـ/1974، ج2.
8. أبو زكريا يحي بن بكر الورجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ط2، دار المغرب الإسلامي 1402هـ-1982م، الجزائر.

9. أبو يزيد البسطامي (ت 261هـ): المجموعة الصوفية الكاملة، تح وتق: قاسم محمد عباس، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2004.

10. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني: (ت 570 هـ) الدليل لأهل العقول، ج2، المطبعة البارونية يطالون الحجرية، 1036هـ.

11. أبي الفرج الجوزي البغدادي (ت 510 هـ): تلبيس إبليس، الإسكندرية، دار إبن خلدون.

12. أبي القاسم بن حوقل صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

13. أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1.

14. أحمد ابن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: السير، ط2، تح: أحمد بن مسعود السياني، ج2، دار التراث القومي والثقافة، عمان، 1412هـ/1992م.

15. البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857م.

16. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458 هـ): الزهد الكبير، تح: مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض 1423هـ/ 2003 م، ج13.

17. زين الدين أبي القاسم القشيري (ت 376 هـ): الرسالة القشيرية، تح: عبد الرؤوف سعدن، القاهرة، دار جوامع الكلم، د ت.

18. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2022م، القاهرة.

19. شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: محمد أمين الصناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

20. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج5، تح: يحي الشامي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

21. عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون (ت808 هـ): المقدمة، ج2، تح وتع: عبد الله الدرويش، دار البلخي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1425 هـ، 2004م.

22. عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوق إلى حقائق التصوف، مطبعة الإعتدال، 1355 هـ.

23. عبد الله بن مبارك المروزي (ت 181 هـ): الزهد والرقائق، مج1، تح وتع: أحمد فريد، دار المعارج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415 هـ- 1995 م.

24. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي (ت 817هـ): القاموس المحيط، تح: محمد نعيم، مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1426 هـ، 2005 م.

25. محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي إبن قيم الجوزية (ت 751 هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، دار وتح: ناصر بن سليمان السعودي وآخرون، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1432 هـ، 2011م.

26. محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ): إحياء علوم الدين، ج4، كرياطة فوترا سماراغ للطباعة والنشر.

27. الوسياني وسليمان بن عبد السلام بن حسان: سير الوسياني، تح، عمر بن لقمان وسليمان بوعصبانة، "1، عمان، وزارة التراث والثقافة، 2009، ج1، 2.

- **المراجع**

28. إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1420هـ/1999م.

29. إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية)، منشورات آلفا، الجزائر، 2010.

30. إبراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، موقم للنشر، الحزائر، 1990م.

31. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ج1.

32. أبي الربيع سليمان الباروني، مختصر الإباضية، مطبعة الإرادة، ط2، نشر مكتبة الإستقامة، تونس، 1968م.

33. أبي إسماعيل الهروي، منازل السائرين إلى الحق المبين، عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني، ج01، دار التركي للنشر، 1989.

34. أحمد الياس حسن: الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1412هـ/ 1992م.

35. أحمد بن مصطفى العلاوي، المواد الغثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج2، المطبعة العلاوية للطباعة والنشر، مستغانم، ط1، 1994م.

36. ألفرديل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان.

37. الباروني سليمان بن عبد الله النفوسي، الأزهار الرياضية. تونس، دار سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ج1.

38. بكير سعيد أوعشت: أضواء إسلامية على المعالم الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1999.

39. بوزياني الدراجي، دول الخوارج العلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

40. بيار كوبلي: مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، تر: عمار الجلاصي، مطبعة ربانيت ماروك، المغرب، 2006

41. توفيق بن عامر: التصوف الإسلامي إلى القرن السادس هجري، المركز القومي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1419 هـ، 1998م.

42. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

43. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجبل، بيروت، 1996م، ج2.

44. رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

45. رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، ط3، 1984.

46. زيدان عبد الفتاح قعدان، المعجم الإسلامي، ج2، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012.

47. سالم بن هلال الخرومي: الفكر السياسي عند الإباضية والزيدية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2006.

48. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، دار المعارف، ج1-3.

49. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ط1، القاهرة، دار المعارف، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان.

50. عبد الحفيظ منصور: السياسة الداخلية للإمارة الرستمية 160هـ-296هـ/ 909م-777م، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1421هـ-2001م.

51. عبد الحليم محمود: أقطاب التصوف لسفيان الثوري، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.

52. عبد الحي محمد قابيل: الإباضية وآراؤهم الكلامية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2015م.

53. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، منشورات دار الحياة، بيروت، د ت.

54. عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج2، 1982.

55. عبد الله شريط ومحمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، ط1، 1965.

56. عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش 1818-1914، ط2، سلطنة عمان، 1991م.

57. علي يحي معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ج1، وزارة التراث القومي للثقافة، عمان، ط2، 1415هـ/ 1994م.

58. عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1975.

59. عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط2، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1981م.

60. لخضر سيفر: التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج1، مطبعة أمل الدراسات (د.ت).

61. مبارك الميلي: الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2.

62. محمد إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت 1976.

63. محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى ق 5 هـ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1993م.

64. محمد بوركبة: الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160هـ-هـ/777-909م)، دار الكفاية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2019م.

65. محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 1994.

66. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، ط1، ج3، القاهرة، 1963م.

67. محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، دار القلم للنشر، الكويت، ط2، 1408هـ/ 1987م.

68. ناصر عبد الكريم العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم، ط1، 1419هـ-1998م، دار شيليا للنشر والتوزيع.

69. نور أندريه: التصوف الإسلامي، تح: عدنان عباس علي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003م.

- **الأطروحات الجامعية**

70. سامية مقري: التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة 296 -409 هـ/ 909 -1018م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/ 2006م.

71. عبد الحفيظ منصور: السياسة الداخلية للإمارة الرستمية (160هـ-296هـ/777م-909م)، رسالة ماجستير، جلمعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1421هـ-2001م.

72. قراوش سومية: إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، 160-296 هـ/777م-909م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018م/2019م.

73. كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والشيع، رسالة دكتوراه في الفلسفة، جامعة بغداد، كلية الآداب.

74. مزهودي مسعود: جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى الهجرة بتي هلال إلى النغرب، أطروحة دكنوراه في التاريخ الوسيط، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 1996م.

75. هادي جلول: العلوم الدينية في المغرب الأوسط من القرن (2هـ-8هـ/8م-14م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، دامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 1015م/2016م.

➢ **الدوريات**

76. إحسان عباس، المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، ع41، 2011.

77. أحمد شارف، أئمة وفقهاء الدولة الرستمية ودورهم في الحياة الاقتصادية للمغرب الأوسط (160 هـ-296هـ/ 777م-909م)، المجلد 07، ع 02، 2022، جامعة زيان عاشور، الجلفة.

78. تالية سعدو: الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، العدد 1، جامعة وهران، الجزائر، 2011.

79. صالح محمد فياض أبو دياك: المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب الأوسط، ع 55-56، سنة 1996م، جامعة اليرموك، الأردن.

80. علال بن عمر، حركة الزهد ومنظومة التصوف عند إباضية المغرب، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج 06، ع 02، الجزائر، 2022.

81. معروف بلحاج: الإنتاج الفكري الجزائري في عهد الدولة الرستمية، الفضاء المغاربي مجلة دورية محكمة، يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

82. يوسف أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري (90 هـ/450هـ)، ج1، ط1421،1 هـ/2000، جامعة أم القرى، السعودية.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ–و
الفصل التمهيدي: إنتقال المذهب الإباضي لبلاد المغرب	
أولا: نشأة الإباضية	02
ثانيا: التعريف بالمذهب الإباضي	03
ثالثا: إنتشار الإباضية ببلاد المغرب	04
رابعا: تأسيس الدولة الإباضية (الرستمية)	06
خامسا: تيهرت حاضرة الرستميين	08
الفصل الأول: ماهية الزهد	
أولا: الزهد	11
ثانيا: درجات الزهد	18
ثالثا: الفرق بين الزهد والتصوف	19
رابعا: الزهاد الإباضية الأوائل	22
الفصل الثاني: الزهد في المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي	
أولا: مظاهره	30

ثانيا: عوامل إزدهاره	33
ثالثا: سماته	41
رابعا: الأئمة الرستميون	46
الفصل الثالث: تأثير زهد الأئمة على مختلف جوانب حياة الرستميين	
أولا: الحياة السياسية	51
ثانيا: الحياة الاجتماعية	59
ثالثا: الحياة الاقتصادية	62
رابعا: الحياة الفكرية	65
الخاتمة	73
الملاحق	77
قائمة المصادر والمراجع	88
فهرس المحتويات	97
ملخص الدراسة	99

ملخص الدراسة

شهدت بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) بداية القرن الثاني للهجرة تأسيس أول دولة إباضية إمامية مستقلة، برزت بنظام حكم مذهبي إباضي مختلف في طبيعته عن المذاهب الإسلامية الأخرى، تميز المجتمع التيهرتي بنزعة زهدية غلبت على شخصية حكامه الأئمة الرستميين من خلال سلوكاتهم وتعاملاتهم مع الرعية وممارساتهم التعبدية، فقد بذل الأئمة مجهودات كبيرة في سبيل تنشيط حركة الزهد في ربوع دولتهم الرستمية من خلال تشييد المساجد والدور العلمية وجلب الكتب وإهتمامهم بالعلم والدفاع عن الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحابة البدع والخرافات وتشجيعهم على الزهد، كان سياسة واضحة لاغلب الأئمة ومساهمتهم الشخصية من خلال التأثير على حياة المجتمع الرستمي سياسياً وإجتماعيا وإقتصادياً وثقافياً وحضارياً.

فزهد الأئمة وورعهم وعدلهم وتسامحهم أعطى لهذه الدولة طابع خاص ميزها عن غيرها من دول المغرب الأوسط في تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، الدولة الرستمية، الإباضية، الزهد، الأئمة...

AT The begining of the second Centrry AH, (Algerian), Central maghreb witnessed the establishment of the first ibadistate an independent emirate the emerged with an Ibadi sectarian system of government that was differen , in nature from other Islamic sects.

The Tahirti society was distinguished by its ascetic tendency which dominated the Bersonality of its rulers, the rustamid Imams, through their behavior, dealings with the subjects, and their devotional practices. The imams made efforts to revitalize the ascetic movement throughout their Rustamid state through the construction of mosques and scientific houses, bringing books, and their interest in science, defending Islam, enjoining good and forbidding evil, fighting heresies and superstitions, and encouraging asceticism, was a clear policy for of the imams, and their personal contribution was through Influencing Rustami society politically, socially, economically, culturally and civilizationally.

The imams'as asceticism, piety, justice, and tolerance gave this country a special character, that distinguished it from other countries of the Central Maghreb at that period.

key words:

Central Maghreb, the Rustamid state, ladi, acetic, Imams.

تصريح شرفي بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث:

أنا الممضي أسفله،

-الطالب(ة): ...الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 202656485

والصادرة بتاريخ: 22/03/2018 من دائرة: ...

- الطالب(ة): ..... الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: .....

والصادرة بتاريخ: ..... من دائرة: .....

المسجل(ين) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: العلوم الإسلامية الشعبة: التاريخ

التخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

والمكلف(ة) بانجاز أعمال بحث(مذكرة ماستر ، الموسومة بـ:

.....

.....

.....

أصرح بشرفي (نا) أني (نا) ألتزمت (نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه

التاريخ: 06/06/2024

توقيع المعني(ة):

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
RECHERCHE SCIETIFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2023-2024

بسكرة في .....

الاسم واللقب الأستاذ المشرف : صادق بوطارفة
الرتبة : أستاذ مساعد أ
المؤسسة الأصلية جامعة محمد خيضر بسكرة

الموضوع: الإذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ: صادق بوطارفة .وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر للطالبة:

خليدة قرمي

في تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

والموسومة: بـ: حركة الزهد عند الإباضية في المغرب الأوسط – الدولة الرستمية نموذجا(ق2- 3هـ/ق8- 9 م)

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بإيداعها.

إمضاء المشرف